الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria


Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون


قسم الدراسات اللغوية والأدبية

# رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي(ة) أسفله الأستاذ(ة): ..... زريوي وداعة .....

الرتبة العلمية: ..... أستاذة .....

بصفتي مشرفا(ة) على مذكرة الماستر الخاصة بالطالب(ة):

الاسم واللقب: ..... عزروق مرضا .....

التخصص: ..... أدب جزائري معاصر وعالمي .....

السنة الجامعية: ..... 2025/2026 .....

والموسومة: "..... صورة الآخر في رحلة محمد لبيب البنوني إلى أمريكا ....."

أشهد أن الطالب(ة) قد أتم(ت) إنجاز المذكرة وفق التوجيهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والأخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخص له(ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في: 2026/06/17

إمضاء الأستاذ المشرف

أ. زريوي وداعة

مصادقة رئيس القسم

أ.د غول شهرزاد
رئيس
قسم الدراسات اللغوية و الأدبية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية

تخصص: أدب مقارن وعالمي

بعنوان:

# صورة الآخر في رحلة محمد لبيب البتتوني إلى أمريكا

إعداد الطالب:

✓ عزروق رضا

إشراف الأستاذة:

أ.د: زيتوني كريمة

السنة الجامعية: 2025- 2026م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية

تخصص: أدب مقارن وعالمي

بعنوان:

# صورة الآخر في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا

إعداد الطالب:
✓ عزروق رضا

إشراف الأستاذة:
أ. د: زيتوني كريمة

السنة الجامعية: 2025- 2026م

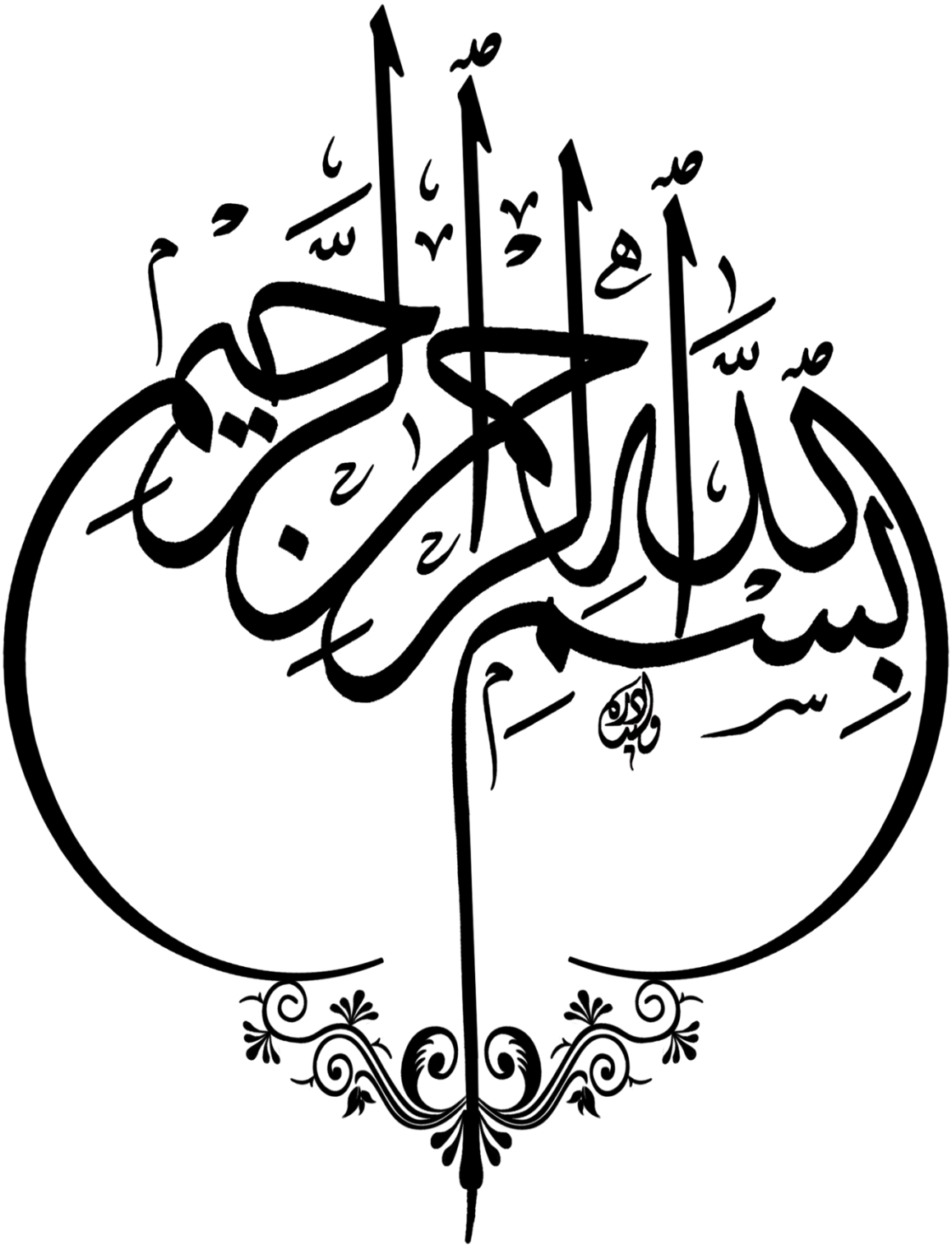
بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وتقدير

بكل معاني الامتنان والتقدير، نتقدّم بخالص الشكر وأسمى عبارات العرفان إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة **"زيتوني كريمة"**، التي شرّفتنا بالإشراف على هذه المذكرة، وأحاطتنا بعلمها الغزير، وتوجيهاتها القيّمة، ونصائحها السديدة طوال مراحل إنجاز هذا العمل.

لقد كانت مثالًا يُحتذى به في الجدية والانضباط والتواضع العلمي، فلم تبخل علينا بوقتها ولا بخبرتها، وكانت سندًا وداعمًا لنا في كل خطوة، توجهنا بحكمة، وتصحح أخطاءنا برحابة صدر، مما ساهم في تعزيز ثقتنا وتطوير مسار بحثنا.

ومن خلال إشرافها المتميز، أدركنا أن البحث العلمي ليس مجرد قواعد ومناهج، بل رسالة سامية تقوم على الإخلاص والاجتهاد وحب المعرفة.

فنسأل الله تعالى أن يجزيها عنا خير الجزاء، وأن يبارك لها في علمها وعملها، ويجعل هذا الجهد في ميزان حسناتها، ويرفع قدرها في الدنيا والآخرة.

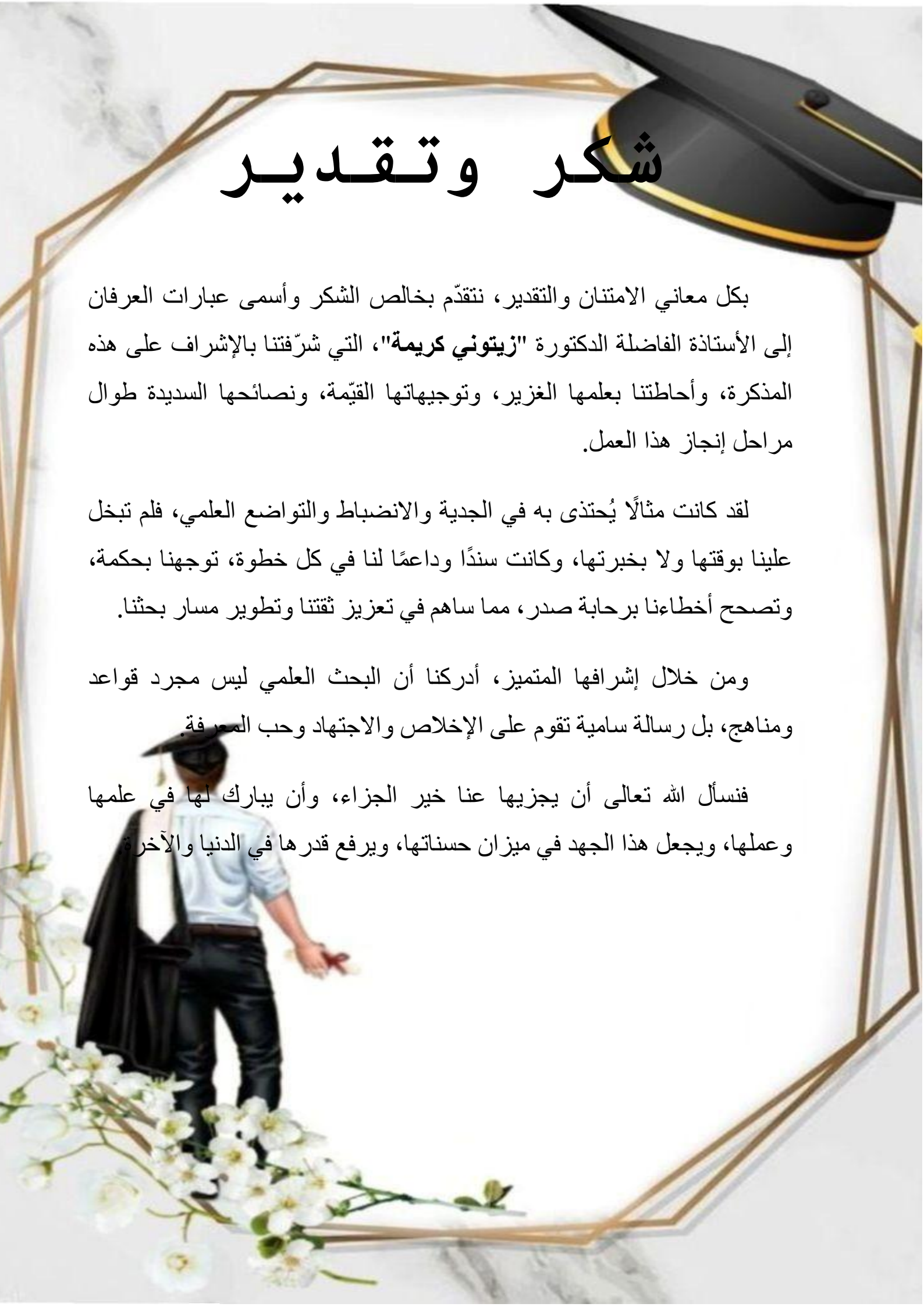

# إهـــــــداء

إلى من كانا النور الذي أنار دربي، والسند الذي منحني القوة والعزيمة... إلى والديّ الكريمين، حفظهما الله وأدامهما تاجًا فوق رأسي، عرفانًا بفضلهما العظيم، وصبرهما، ودعواتهما التي كانت سرّ نجاحي وتوفيقي.

إلى إخوتي وأخواتي، الذين كانوا لي مصدر دعمٍ ومحبة، وشاركوني لحظات التعب والأمل، فكان حضورهم دافعًا للاستمرار والعطاء.

إلى أصدقائي الأعزاء، الذين رافقوني بكلماتهم المشجعة ومساندتهم الصادقة طوال مسيرتي الدراسية.

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل، من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيبة أو دعوة صادقة، أتقدم بخالص الشكر والامتنان.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع، راجيًا من الله أن يكون بدايةً لكل نجاح وتوفيق.

**عزروق رضا**

# مقدمـــة

## مقدمة

يُعدّ أدب الرحلة من أبرز الأجناس الأدبية التي أسهمت في نقل صور الشعوب والثقافات المختلفة، لما يتيحه من إمكانات واسعة لرصد مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية والعلمية للمجتمعات الأخرى من خلال المشاهدة المباشرة والانطباع الشخصي للرحّالة. ولم تكن الرحلة مجرّد انتقال جغرافي من مكان إلى آخر، بل مثّلت فضاءً للتفاعل الحضاري والتبادل الثقافي، إذ أتاحت للرحّالة فرصة بناء تصوّرات عن الآخر انطلاقًا من مرجعيته الثقافية وخلفيته الفكرية، وهو ما جعل النص الرحلي مجالًا خصبًا لدراسة صورة الآخر وتمثّلاته. وفي هذا الإطار، برزت الصورائية بوصفها منهجًا نقديًا في الأدب المقارن يُعنى بدراسة صورة الآخر داخل النصوص الأدبية، وتحليل الكيفية التي تُبنى بها هذه الصورة، والكشف عن الأبعاد الثقافية والإيديولوجية والتاريخية التي تسهم في تشكيلها، الأمر الذي منح النصوص الرحلية أهمية خاصة باعتبارها فضاءً تتجلّى فيه رؤى الذات تجاه الآخر بين الإعجاب والنقد والمقارنة الحضارية.

وانطلاقًا من هذا الطرح تعتبر رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا من النصوص الرحلية العربية الحديثة التي قدّمت صورة غنيّة ومتعدّدة الأبعاد للآخر الأمريكي في مطلع القرن العشرين، حيث رصد الرحّالة مظاهر التقدّم الحضاري والعلمي، والحياة الاجتماعية والثقافية، كما سجّل في الوقت نفسه بعض الملاحظات النقدية المرتبطة بتناقضات المجتمع الأمريكي وحدود حداثته الإنسانية والاجتماعية. وتنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى الكشف عن صورة الآخر الأمريكي في نصّ رحلي عربي حديث من منظور صورائي، بما يسهم في إبراز طبيعة التمثّلات الثقافية والحضارية التي كوّنها الرحّالة العربي

تجاه المجتمع الأمريكي، فضلًا عن إثراء الدراسات المرتبطة بأدب الرحلة والصورائية، خاصة في ظلّ محدودية الأبحاث التي تناولت رحلة البتنوني إلى أمريكا.

وتأسيسًا على ذلك، تتمثّل إشكالية الدراسة في التساؤل الآتي :**كيف تجلّت صورة الآخر الأمريكي في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا؟**

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من الأهداف، من أهمّها: الكشف عن أبرز ملامح صورة الآخر الأمريكي كما قدّمها البتنوني، وتحليل أبعادها الحضارية والاجتماعية والثقافية، واستجلاء موقف الرحّالة من مظاهر التقدّم الأمريكي وما صاحبها من تناقضات، فضلًا عن إبراز فاعلية المنهج الصورائي في تحليل النصوص الرحلية وتمثّلات الآخر فيها.

وللإحاطة بالإشكالية سابقة الذكر فقد قسمنا بحثنا هذا إلى مدخل وفصلين مع مقدمة وخاتمة ضمّت أهم النتائج.

تطرقنا في المدخل إلى مفهوم الصورائية ونشأتها وموقعها ضمن الأدب المقارن، وكذا آليات بناء صورة الآخر في النص الأدبي

أمّا الفصل الأول والذي كان بعنوان الإطار النظري والمفاهيمي لأدب الرحلة فقد احتوى على مفهوم الرحلة ونشأتها وتطوّرها وخصائصها.

وكان الفصل الثاني بمثابة فصل تطبيقي للدراسة حيث تطرّقنا فيه إلى الحديث عن كتاب الرحلة إلى أمريكا لمحمد البتنوني وتدرّجنا من خلال دراستنا إلى صورة الأخر في الجانب الحضاري والعلمي وصورة الأخر في الجانب الاجتماعي والثقافي، ثم إلى موقف الرحالة محمد البتنوني من الآخر الأمريكي

أمّا عن المنهج فقد اعتمدنا مقاربة تعددت آلياتها بين الوصف والتحليل بالإضافة إلى المقارنة حسب ما تمليه طبيعة الموضوع.

أمّا فيما يخص أهم المصادر والمراجع المعتمدة خلال الدراسة فنذكر منها:

- الرحلة إلى أمريكا لمحمد لبيب البتنوني.
- أهمية أدب الرحلات من النّاحية الأدبية لأحمد فردوس
- الرحلة في الأدب العربي لناصر عبد الرزاق الموافي

وقد واجهنا خلال دراستنا جملة من الصعوبات، لعلّ أبرزها ندرة الدراسات السابقة المتخصّصة في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا، إذ لم نعثر إلا على دراسة واحدة تناولت الرحلة، وهي دراسة للباحثة تحلية الديانة من النيجر، الأمر الذي شكّل تحدّيًا على مستوى الإحاطة النقدية بالموضوع، ودفع إلى الاعتماد بصورة أكبر على المتن الرحلي ذاته.

وختاما لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والامتنان لأستاذتنا الدكتورة **"زيتوني كريمة"** لقبولها الإشراف على هذا العمل وعلى توجيهاتها ونصائحها القيمة طيلة مشوارنا البحثي.

**2026/05/24**

**عزروق رضا**

# مدخل: الصورائية في الأدب المقارن

1- مفهوم الصورائية (Imagologie)

2- نشأة المصطلح وتطوره في الدراسات المقارنة

3- موقع الصورائية ضمن حقول الأدب المقارن

4- آليات بناء صورة الآخر في النص الأدبي

تُعدّ الصورولوجيا أحد الفروع الأساسية في الأدب المقارن، وقد تعددت المصطلحات العربية المقابلة للمفهوم الفرنسي *Imagologie*، من بينها: الصورولوجيا، علم الصورة، الصورائية، الصورية، والصوريات. ويُعنى هذا الحقل بدراسة الكيفية التي يُصوِّر بها الأدبُ الثقافاتِ والمجتمعاتِ الأخرى في سياقات تواصلية معيّنة، من خلال ما تنتجه النصوص الأدبية من تمثلات وصور ذهنية عن الآخر.

## 1. مفهوم الصورائية (Imagologie)

تُفهم الصورولوجيا بوصفها مجالًا للتواصل والتفاعل بين الشعوب، أو مرآة تعكس السمات الثقافية والاجتماعية المميزة للأمم، لما تمتلكه الصورة الأدبية من قدرة على إبراز ملامح الشعوب وآدابها وثقافاتها، بما يسهم في تعميق المعرفة المتبادلة، وتفكيك الصور النمطية الجاهزة، لا سيما تلك التي تشكلت في سياقات استعمارية. ومن هذا المنطلق، اعتبر بعض الباحثين الصورولوجيا مبحثًا يهدف أساسًا إلى تفنيد الأحكام الخاطئة المتداولة حول الجماعات الإثنية والعرقية واللغوية والقومية[1].

وتعود البدايات الأولى لهذا الاتجاه إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتحديدًا مع تجربة الأديبة الفرنسية مدام ديستال خلال إقامتها الطويلة في ألمانيا، حيث أتاح لها الاحتكاك المباشر بالمجتمع الألماني التعرف إلى خصائصه الثقافية والحضارية، التي بدت مغايرة تمامًا للصورة النمطية السائدة لدى الفرنسيين آنذاك.[2] وقد أسفرت هذه الرحلة عن تأليفها كتابًا بعنوان "ألمانيا"، سعت من خلاله إلى تصحيح التصورات المشوَّهة التي يحملها

[1]- ينظر: سعيدة بشار، مطبوعة الجزائر في الآداب العالمية، تخصص الأدب المقارن، السنة الأولى ماستر، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة 1، دون تاريخ، ص02.

[2]- ينظر: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص110.

الفرنسيون عن الألمان وبلادهم وثقافتهم، الأمر الذي جعل هذا العمل يُعدّ منطلقًا مبكرًا لما أصبح يُعرف لاحقًا بالدراسة الأدبية للآخر، أو الصورولوجيا.

وقد تناول عدد من النقاد مفهوم الصورولوجيا بالتعريف والتنظير، من بينهم بيير برونيل، الذي عدّها "علمًا حديثًا نشأ عن دراسة أدب الرحلات".[1] "أما دانييل هنري باجو فقد أطلق عليها تسمية «الصورولوجيا الأدبية»، وسعى إلى فصلها عن العلوم المجاورة غير الأدبية، كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، مؤكدًا أن موضوعها الأساس هو دراسة صورة الأجنبي داخل العمل الأدبي".[2] وبذلك ينصبّ اهتمام الدارس في هذا المجال على البعد الأدبي والجمالي للصورة، أي على كيفية تمثّلها فنيًا داخل النص، وهو ما لا يشكل محور اهتمام المؤرخ أو عالم الاجتماع. ويؤكد باجو في هذا السياق أن الصورة الأدبية تمثل حصيلة مركّبة من الأفكار والمشاعر تجاه الآخر، تتشكل في إطار التفاعل بين البعدين الأدبي والاجتماعي.[3]

تتفق معظم كتب الأدب المقارن على أن دراسة صور الشعوب وتمثّلاتها في آداب الشعوب الأخرى تندرج ضمن مجال الدرس المقارن. "ففي سنة 1930 قدّم إسكولي رسالة علمية بعنوان "بريطانيا العظمى في نظر الرأي العام الفرنسي في القرن السابع عشر"، ثم تلتها سنة 1947 رسالة جان ماري كاري الموسومة بـ "الكتّاب الفرنسيون والسراب الألماني (1800–1940). "وبعد ذلك أنجز ميشال كادو دراسته حول "صورة روسيا في الحياة الثقافية الفرنسية" .وجاءت رسالة ماريوس غوييار أكثر وضوحًا وتركيزًا، حيث عمّقت

[1]- نوافل يونس الحمداني، الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر، مجلة ديالي، العدد 55، 2012، ص 01

[2]- محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، مصر، 2013، ص06.

[3]- ينظر: عبد النبي ذاكر، أفق الصورولوجيا نحو تجديد المنهج، مجلة علامات في النقد، العدد 51، 2004، ص 28

هذا الاتجاه من خلال بحثه المعنون "صورة بريطانيا العظمى في الرواية الفرنسية" من 1914 إلى 1940".[1]

ومنذ ستينيات القرن العشرين، أصبحت مثل هذه الموضوعات المتعلقة بصور الشعوب في آداب غيرها شائعة في الجامعات الفرنسية، ومعترفًا بها ضمن البحث الأكاديمي.

وتنقسم دراسات صور الشعوب إلى قسمين رئيسين:

الأول يتمثل في تقديم صورة شعب ما داخل أدبه ولغته، كصورة الفرنسيين في الأدب الفرنسي، أو صورة المرأة في الأدب المصري أو الجزائري، أو صورة الزنجي في الأدب المصري.[2] ويظل هذا النوع من الدراسات محصورًا في الإطار القومي واللغوي ذاته.

أما القسم الثاني، فيتعلق بتقديم صورة شعب في أدب شعب آخر يختلف عنه لغويًا وثقافيًا، مثل صورة الجزائر في الأدب الفرنسي، كما نجدها عند شارل تايار، أو صورة الإنجليز وطباعهم في كتابات فولتير[3].

ويسهم هذا الصنف الثاني من الدراسات إسهامًا فعّالًا في تفكيك الصور النمطية الراسخة في المخيال الجمعي للشعوب، ويفتح آفاقًا للتقارب الإنساني بينها، وهي قيمة باتت أكثر إلحاحًا في المرحلة التاريخية الراهنة. وعلى الصعيد العربي، شهد هذا النوع من الدراسات نشاطًا ملحوظًا، "إذ يعزو علوش ذلك إلى جملة من الأسباب، من أبرزها الظاهرة الاستعمارية، التي أفرزت دراسات أدبية وسوسيولوجية وصورولوجية جديرة بالبحث، من زاوية علاقة الأنا

[1]- أغامير محمد، صورة الجزائر في مخيال الآخر "لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر"، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2013- 2014، ص45.

[2]ينظر: أغامير محمد، صورة الجزائر في مخيال الآخر "لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر"، ص46

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص47

(المستعمَر) بالآخر (المستعمِر)".[1] كما يرى أن كتب الرحلات العربية قد أسهمت، بوعي أو من دونه، في التمهيد لظهور الصورولوجيا، متزامنة مع تشكل الوعي الوطني، حيث جرى تأويل صورة الآخر الأجنبي بطريقة يغلب عليها الطابع الأسطوري، نتيجة الصدام العنيف مع الغرب، الذي أحدث خلخلة عميقة في رؤية العرب للعالم والإنسان والوجود.

ومما سبق نستخلص أنّ اللقاء بين الشرق والغرب في سياق الحروب والصراعات قد أسهم في تنشيط الدراسات التي سعت إلى فهم الآخر المختلف، بوصف ذلك ضرورة فرضتها ظروف التصادم الدموي.

## 2. نشأة المصطلح وتطوره في الدراسات المقارنة

تعود البدايات الأولى لدراسة الصورائية في الأدب المقارن للنصف الأول من القرن التاسع عشر (1800–1850). في هذا الوقت، بدأ الأدب الأوروبي يفتح نوافذه على الثقافات والشعوب الأخرى ليس فقط كموضوع سردي، بل كمسألة تحليلية ودراسية[2]. هذا التوجه كان جزءًا من حركة أوسع بدأت مع النهضة والتنوير، حيث أصبح الفكر الأوروبي مهتمًا بفهم الشعوب الأخرى ودراسة خصائصها الثقافية والاجتماعية.

ولا ريب أنّه في أيّ مجال يُراد البحث فيه، لا بدّ من عناصر تُكوّنه، وتُعدّ الصورولوجيا واحدة من هذه المجالات. إذ ثمّة عنصر أوّلي للصورة التي نحاول تشكيلها، وهو ذلك المخزون الواسع من الكلمات التي تنقل إلينا صورة الآخر، وهذا المدّخر اللفظي لا يُقصد به مجرّد الألفاظ، بل هو فيض من

[1]- محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية "صورة المغرب في الرواية الإسبانية"، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 1994، ص58.

[2]- ينظر: ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص109.

المفاهيم والمشاعر والعواطف، التي تُشكّل حقولًا معجميّة يشترك فيها، من حيث المبدأ، كلٌّ من المؤلِّف والمتلقّي[1].

وبما أنّ "الصورولوجيا فعلٌ ثقافي، فإنّها ـ كما يُؤكَّد ـ يجب أن تُدرَس بوصفها مادّةً وممارسةً أنثروبولوجية (علم الإنسان)، لها مكانتها ووظيفتها داخل العالم الرمزي، الذي يُسمّى هنا خياليًا"،[2] والذي لا ينفصل عن أيّ مؤسّسة اجتماعية أو ثقافية؛ لأنّ المجتمع يرى نفسه، ويكتب عنها، ويفكّر فيها، ويتعلّم من خلالها ضمن هذا العالم الرمزي.

وعليه، يُعدّ الخيال أحد العناصر المكوِّنة للصورولوجيا في إطار البحث في التاريخ الوقائعي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وغيره من المجالات. كما يدخل في تشكيل الصورة عاملُ العدوّ الموروث، والاستعمار ونتائجه الإيديولوجية والثقافية،[3] وهي عناصر ترتبط بالخيال ارتباطًا وثيقًا، لما تحمله من إحالات إلى ماضٍ تاريخيٍّ عريق يختزنه المجتمع.

وتتعدّد مكوّنات الصورولوجيا وعواملها، الأمر الذي أسهم في تمكين الأدباء من نقلها عبر حقل الأدب المقارن، إذ من خلالها تعرّفت الشعوب والأقوام بعضها إلى بعض، وتأثّرت فيما بينها، واكتسبت ثقافاتٍ متبادلة تجاوزت حدود الماديّ والمعنويّ على اختلاف أشكالهما.

وقد كانت مدام دي ستايل الفرنسية واحدة من أهم الشخصيات التي ساهمت في نقل هذه الصورة الأدبية للعالم الآخر، خاصة صورة ألمانيا، إلى جمهور القراء الفرنسيين. حيث أقامت في ألمانيا مدة طويلة، وهي الفترة التي مكنتها من مراقبة المجتمع الألماني عن قرب. ومن خلال هذا المكوث الطويل، استطاعت

[1] ـ ينظر: المرجع السابق، ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ، ص113- 114.
[2] ـ يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة الوطنية للتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر، 2009، ص210
[3] ـ ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، ط5، بيروت، لبنان، 1987، ص421.

أن تكشف عن جوانب لم يكن الفرنسيون يعرفونها، وقد كان لديهم تصورات مشوهة عنها.

• هذا يعكس أهمية التجربة المباشرة في دراسة الآخر، أي أن الزيارة والتعايش مع الشعب الآخر أساسي لفهم ثقافته ومواقفه وليس الاكتفاء بالصور النمطية أو السرديات الجاهزة[1].

ويمكن تقسيم ملاحظاتها إلى ثلاث مستويات رئيسية، وهو ما يعكس اهتمام الأدب المقارن بالبعد الشامل للآخر[2]:

1. **الجمال الطبيعي:**

◦ تأثرت بالمناظر الطبيعية، مثل نهر الراين والغابة السوداء.

◦ هذه الملاحظات لم تكن مجرد وصف، بل ساهمت في تشكيل صورة رومانسية للألمان في الأدب الفرنسي، حيث أصبحت الطبيعة الألمانية رمزًا للنقاء والجمال المتأمل.

2. **المناقب الإنسانية والسلوكيات:**

◦لاحظت الصفات الشخصية للألمان، مثل الطيبة، الصدق، والانضباط السلوكي.

◦هذا ساعد على تصحيح الصورة النمطية السلبية أو المشوهة عن الألمان، التي كانت سائدة في فرنسا.

3. **الثقافة والفكر :**

◦ركزت على الثروة الأدبية والفلسفية للألمان، وأشارت إلى المكانة الرفيعة التي وصل إليها المجتمع الألماني في مجالات الفكر والفلسفة.

---

[1] ينظر: صالح عبد المطلب، مباحث في الأدب المقارن، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، العراق، 1987، ص60

[2] ينظر: زهرة مزوني، دراسة الصورة في الأدب المقارن، مجلة الباحث، العدد16، دون تاريخ، ص77.

هذا الربط بين الشعب والفكر يعكس أحد أهم مفاهيم الصورولوجيا، وهو أن صورة الآخر في الأدب لا تقتصر على المظاهر بل تشمل الثقافة والإنجازات العقلية.

ومن ثَمَّ أصبح كتاب"عن ألمانيا(Del'Allemagne) "لمادام دي ستايل مرجعًا مهمًا في الأدب المقارن. كما أن عملها لم يقتصر على مجرد النقل أو التوثيق، بل هدف إلى تصحيح التصورات المغلوطة عن الآخر في الوعي الفرنسي. هذا يعكس المفهوم الأساسي الصورولوجية :(Imagologie) إذ تعنى بدراسة صورة الآخر في الأدب، وكيف تعكس النصوص والممارسات الأدبية تصورات الشعوب لبعضها البعض، سواء إيجابية أو سلبية.

### 3. موقع الصورائية ضمن حقول الأدب المقارن

تحتلّ الصورائية (Imagologie) موقعًا مركزيًا داخل حقل الأدب المقارن، لكونها من أكثر المناهج قدرة على الكشف عن طبيعة العلاقات الثقافية بين الشعوب، وعن أنماط التمثّل المتبادل التي تنتجها الآداب المختلفة. فالأدب المقارن، في جوهره، لا يقتصر على تتبّع التأثيرات والتأثرات أو المقارنات الشكلية بين الآداب، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة صورة الآخر كما تتجلى داخل النصوص الأدبية،[1] وهو ما يجعل الصورائية إحدى الأدوات المنهجية الأساسية فيه.

وتتميّز الصورائية عن غيرها من المناهج المقارنة بتركيزها على التمثّلات الذهنية والثقافية أكثر من تركيزها على العلاقات التاريخية المباشرة أو التفاعلات النصية الصريحة. "فهي لا تبحث في ‘‘كيف انتقل النص؟’’ أو ‘‘من أثّر فيمن؟’’ بقدر ما تسعى إلى الإجابة عن سؤال :كيف يرى شعبٌ شعبًا آخر؟

[1] ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق "المفاهيم الغربية للشرق"، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص113

وكيف تُبنى هذه الرؤية أدبيًا؟ ومن هنا تتقاطع الصورائية مع مجالات معرفية أخرى مثل التاريخ الثقافي، والدراسات الحضارية، والأنثروبولوجيا، غير أنها تظل متميزة عنها بمرجعيتها الأدبية والجمالية"[1].

وقد أسهم هذا الموقع الوسيط في جعل الصورائية جسرًا بين الأدب المقارن والدراسات الثقافية الحديثة، لا سيما دراسات ما بعد الاستعمار، التي أولت اهتمامًا كبيرًا لمسألة تمثيل الآخر، وتفكيك الخطابات الأدبية التي أسهمت في ترسيخ الهيمنة الثقافية والاستعمارية. فالصورائية، من هذا المنظور، تمكّن الباحث من تحليل البنية الأيديولوجية الكامنة وراء الصور الأدبية، والكشف عن علاقتها بموازين القوى السياسية والثقافية بين الأمم.

كما تتيح الصورائية للأدب المقارن توسيع أفقه الجغرافي والحضاري، إذ لم يعد مقتصرًا على المقارنات الأوروبية-الأوروبية، بل انفتح على دراسة صور الشرق في الأدب الغربي، وصور الغرب في الأدب العربي، وصور إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في آداب المركز الثقافي، والعكس.[2] وبذلك أصبحت الصورائية أداة فعالة في إعادة النظر في المركزية الأوروبية، وفي مساءلة الصور النمطية التي رسّختها الكتابات الأدبية عبر قرون.

ومن ثمّ، يمكن القول إن الصورائية تمثل أحد المداخل المنهجية الحيوية في الأدب المقارن المعاصر، لما تتيحه من إمكانات تحليلية لفهم الآخر، ليس بوصفه كيانًا ثابتًا، بل بوصفه بناءً ثقافيًا وخطابيًا يتشكّل داخل النصوص وفق شروط تاريخية وجمالية وأيديولوجية محددة. وهي بذلك تُسهم في ترسيخ البعد

[1] عابد لزرق، وفاء سالم، ترجمة المصطلح النقدي في الأدب العربي المقارن: الصورائية نموذجا، مجلة موازين، المجلد 5، العدد2، الجزائر، 2023، ص 155.

[2] ينظر: نوافل يوسف الحمداني، الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، العدد 25، جامعة ديالي، العراق، 2012، ص02.

الإنساني والحواري للأدب المقارن، وتؤكد وظيفته في تعزيز الفهم المتبادل بين الثقافات.

## 4. آليات بناء صورة الآخر في النص الأدبي

### أ- اللغة:

تُعدّ اللغة العنصر الأساس في تشكّل الصورة الأدبية، إذ تمثل هذه الأخيرة نقلًا لغويًا لمعطيات الواقع. وتعتمد الصورة في بنائها على الرصيد المعجمي الواسع الذي تمتلكه اللغة، بما يحمله من دلالات وإيحاءات. وفي الدراسات التي تُعنى بعلاقة الأنا بالآخر، يتعيّن على الباحث التمييز بين الحقول المعجمية الموظفة في النص، ولا سيما التفريق بين المفردات المنبثقة من لغة وثقافة البلد الناظر، والتي تُستخدم لتعريف البلد المنظور، وبين الكلمات المستمدة من لغة الآخر، والتي تُنقل إلى لغة الدارس دون ترجمة، لتندمج في الفضاء الثقافي للنص وخياله[1].

### ب- الخيال:

"إن اعتبار اللغة نقلًا لمعطيات الواقع لا يعني مطلقًا استنساخ هذا الواقع أو تقديمه في صورة مطابقة له، فالنص الأدبي even—وإن استند جزئيًا إلى الواقع—لا ينفصل عن الخيال".[2] ويُعدّ الخيال العنصر الذي يرتقي باللغة التصويرية إلى مستوى الجمال الفني، إذ يتيح التفاعل بين الكلمات والخيال للقارئ تشكيل صور ذهنية مشحونة بانفعالات ومشاعر متعددة أثناء تلقيه الصورة الأدبية.

---

[1] ينظر:ماجدة حمود، صورة الأخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010، ص109

[2] أسماء يوسف ديان صالح، الصورولوجيا في الرواية "دراسة مقارنةبين روايات عربية وأمريكية مختارة، جامعة ذي قار، العراق، 2014، ص02.

**ج- الإطار المكاني والزماني:**

**- الإطار المكاني:**

يُسهم تحديد الفضاء المكاني في النص الأدبي في الكشف عن معطيات دلالية مهمة، كما يساعد على تفسير بعض الأحداث والأفكار. ويتجلى ذلك من خلال دراسة الأمكنة المفضّلة، أو تلك التي تُمنح قيمة إيجابية أو سلبية، وكل ما يسمح بترميز الفضاء، بما يُعرف أحيانًا بتقديس المكان أو شحنه بدلالات رمزية.

**- الإطار الزماني:**

يقتضي تحليل النص الانتباه إلى الإشارات الزمنية وتسلسلها التاريخي، إذ إن التواريخ والمعطيات الزمنية التي يقدّمها النص تُسهم في بناء صورة أكثر دقة عن الآخر[1]، وتساعد على تحديد السياق الذي تتشكّل فيه هذه الصورة.

**د- العلاقات الاجتماعية:**

توفر العلاقات الاجتماعية المصوَّرة في النص، ولا سيما تلك التي تجمع بين طرفين مختلفين ثقافيًا، معطيات بالغة الأهمية لفهم تمثّلات الأنا في علاقتها بالآخر. ويشمل ذلك دراسة العلاقات بين الجنسين في سياقات ثقافية متباينة، مثل اختلاف أنماط العلاقات بين الرجل العربي والمرأة الغربية مقارنة بالعكس،[2] أو بين الرجل الفرنسي والمرأة الإسبانية، وما يكشفه هذا التفاوت من دلالات ثقافية واجتماعية.

[1] ينظر: سليم حفاصي، الصورة في الأدب المقارن، مجلة الباحث، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، دون تاريخ، ص141.

[2] ينظر: حلمي خضر ساري، المرأة كآخر "دراسة في هيمنة التنميط الجنساني على مكانة المرأة في المجتمع الأردني ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنضورا إليه"، مركز الدراسات الوحدة العربي، ط2 بيروت، سبتمبر 2008، ص761

**ه- الثنائيات المتناقضة:**

يسهم توظيف الثنائيات الضدية في إبراز صورة الآخر وتحديد ملامح الاختلاف بينه وبين الأنا، من خلال أوصاف متقابلة من قبيل: متوحش/متحضّر، بربري/مثقف، إنسان/حيوان، رجل/امرأة، كائن متفوّق/كائن ضعيف. وغالبًا ما تحمل هذه الثنائيات شحنة أيديولوجية تكشف عن موقع الأنا ورؤيتها للآخر.

**و- المظاهر الثقافية للآخر:**

تشمل هذه الآلية وصف الجسد، ومنظومة القيم، والممارسات الثقافية للآخر بالمعنى الأنثروبولوجي، مثل الدين، والمطبخ، واللباس، والموسيقى، وغيرها من العناصر التي تُسهم في تشكيل صورة ثقافية شاملة عنه داخل النص الأدبي[1].

**ز- الحوارات:**

يتيح تحليل الحوارات المضمَّنة في النص فهمًا أعمق لطريقة تفكير الآخر ورؤيته للعالم، كما يعزز إمكانات التواصل الثقافي. وتمثل الحوارات، في هذا السياق، تجسيدًا جماليًا وثقافيًا لحوار بين ثقافتين، حيث يُقدَّم الأجنبي من خلال بناء سردي أقرب إلى ما يُعرف بـ"الصورة السيناريو".

**ح-المعطيات التاريخية:**

تتضمن بعض النصوص الأدبية إشارات إلى وقائع تاريخية حقيقية، كالأحداث السياسية أو الاقتصادية، وهي معطيات تساعد على الكشف عن

[1] ينظر: عبد النبي اصطيف، دراسات الصورة بين الدرس المقارن للأداب والعلوم الإنسانية، جريدة الأسبوع الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 1052، دمشق، يوم: 2007/04/21.

الدلالة الاجتماعية والثقافية للنص.[1] ولا يعني ذلك تحويل الدراسة الأدبية إلى بحث تاريخي، بل توظيف هذه الإشارات لفهم أعمق لأبعاد النص ودلالاته.

يتبيّن، من خلال ما سبق، أنّ بناء صورة الآخر في النص الأدبي لا يتمّ عبر آلية واحدة معزولة، بل هو حصيلة تفاعل معقّد بين مجموعة من العناصر اللغوية والتخييلية والسياقية والثقافية. فاللغة بما تحمله من حمولة معجمية ودلالية تشكّل الأساس الأولي للصورة، غير أنّها لا تكتسب بعدها الجمالي والرمزي إلا عبر الخيال، الذي يعيد تشكيل الواقع ويمنحه أبعادًا انفعالية وإيحائية تتجاوز النقل المباشر.

كما يضطلع الإطاران المكاني والزماني بدورٍ محوري في تأطير صورة الآخر وربطها بسياقها التاريخي والحضاري، في حين تكشف العلاقات الاجتماعية والثنائيات المتناقضة عن البنية الأيديولوجية الكامنة خلف الخطاب الأدبي، وعن موقع الأنا في مقابل الآخر. وتُسهم المظاهر الثقافية والحوارات والمعطيات التاريخية في تعميق هذه الصورة، عبر تقديم الآخر بوصفه كيانًا ثقافيًا واجتماعيًا متكاملًا، لا مجرّد شخصية سردية عابرة.

وعليه، فإنّ دراسة صورة الآخر في ضوء هذه الآليات تمكّن الباحث من الانتقال من الوصف السطحي للتمثّلات الأدبية إلى تحليلٍ نقديٍّ يكشف عن الأنساق الثقافية المضمَرة، ويُبرز دور الأدب في بناء التصوّرات المتبادلة بين الأنا والآخر، بما يجعل الصورائية أداة منهجية فاعلة داخل حقل الأدب المقارن.

[1] ينظر: عابد لزرق، وفاء سالم، ترجمة المصطلح النقدي في الأدب العربي المقارن: الصورائية نموذجا، ص 157.

# الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي لأدب الرحلة

1- مفهوم أدب الرحلة
2- نشأة أدب الرحلة وتطوره
3- خصائص أدب الرحلة

ارتبطت الرحلة بحياة الإنسان منذ بداياته، بوصفها ضرورة للعيش والتنقّل، وقد عُرف العرب بالترحال بحثًا عن القوت والتجارة. وقد حملت هذه الرحلات تجارب وخبرات وحكايات امتزج فيها الواقع بالخيال، وظلّت تُروى شفهيًا حتى القرن التاسع الميلادي، الذي شهد بداية تدوين الرحلات العربية. ومع هذا التحوّل، تنوّعت كتابات الرحلة وتعدّدت مجالاتها، فشملت التاريخ والجغرافيا والأدب، واكتسبت طابعًا يجمع بين المتعة والفائدة.

## 1- مفهوم أدب الرحلة

### ب-الرحلة لغة:

ارتبط مفهوم الرحلة في المعاجم اللغوية بمعاني الحركة والانتقال من موضع إلى آخر. فقد جاء في لسان العرب أن "رَحَلَ الرجل" أي سار وانتقل، ويُقال: رجلٌ رَحّال إذا كان كثير الارتحال، وقومٌ رُحَّل أي يكثرون التنقّل. كما ورد أن الرحلة والارتحال يدلاّن على الانتقال والمضيّ في السفر، وأنّ الراحِل هو المنتقل من مكانه إلى غيره، وهو معنى يتّسع ليشمل مختلف صور التنقّل والترحال[1].

وفي مقاييس اللّغة لابن فارس، نجد أنّ مادة (رحل) تدور حول أصل واحد يدلّ على المضيّ في السفر، بما يؤكّد أن جوهر الكلمة قائم على فكرة الانتقال والحركة من مكان إلى آخر[2]. وهذا المعنى اللغوي الدقيق يعكس البعد الحركي الذي تشكّل حوله مفهوم الرحلة في الثقافة العربية.

وقد ورد هذا المعنى كذلك في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)، سورة قريش، الآية: 1-2، في إشارة

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج5، تح: محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1999، ص 170- 171

[2]- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج2، مادة (ر ح ل)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، 1979، ص 497

إلى رحلتي قريش التجاريتين: إحداهما في فصل الشتاء نحو اليمن، والأخرى في فصل الصيف نحو الشام، وهو ما يبرز ارتباط الرحلة بوظائف اقتصادية واجتماعية، إلى جانب بعدها الحركي.

**ج- الرحلة اصطلاحا:**

الرحلة هي انتقال يقوم به فرد أو مجموعة من الأشخاص من مكان إلى آخر، بدافع تحقيق أهداف محدّدة، وذلك ضمن إطار زمني معيّن. ولا يقتصر مفهوم الرحلة على مجرّد التنقّل المكاني، بل يشمل أيضًا ما يصاحبه من تجارب ومعارف واحتكاك بثقافات مختلفة، مما يجعلها وسيلة لاكتساب الخبرات وتوسيع مدارك الإنسان[1].

ويتجلّى أدب الرحلة في أشكال فنية متعدّدة، فقد يرد في قالب شعري مطوّل، كما في القصيدة الرَّحَجِيّة للورجلاني (الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدرتي الورجلاني)، أحد أبرز علماء الإباضية في شمال إفريقيا، حيث صوّر فيها رحلة إلى الحج تصويرًا أدبيًا مميّزًا. كما يظهر أدب الرحلة متداخلًا مع فنون أخرى، إذ يستعير من السيرة الذاتية والمقامة والقصة، مما يمنحه تنوّعًا في الأساليب وغنى في البناء[2].

ولا يقف هذا الأدب عند حدود الإبداع الأدبي، بل ينفتح على مجالات معرفية متعدّدة، فيتفاعل مع الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم، فضلًا عن ارتباطه بالتاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا. وهذا التداخل يجعل من نصوص الرحلة، في كثير من الأحيان، مصادر توثيقية ذات قيمة تاريخية مهمّة، إلى جانب كونها مادة خصبة للدراسات المقارنة في ميادين الأدب والفكر والحياة.

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب، الرّحلات المغربية والأندلسية: مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص 42- 43

[2]- إيميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللغة، أدب، نقد، فكر أدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987، ص11

**د- أدب الرحلة:**

يُعدّ أدب الرحلة من أبرز الفنون الأدبية؛ لما يتضمنه من معلومات قيّمة لا غنى عنها للأدباء والمؤرخين والباحثين. فقراءته ضرورة لكل من يرغب في الكتابة أو الدراسة عن الفترات التاريخية التي دوّنت فيها تلك الرحلات. إذ يمثّل هذا الفن صورة شاملة لجوانب متعددة من الحياة العربية والإسلامية، سواء في أبعادها السياسية أو الاجتماعية أو الدينية أو الفكرية أو الأدبية. وقد برز عدد كبير من الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق في رحلات طويلة، ودوّنوا مشاهداتهم وانطباعاتهم ومشاعرهم في مؤلفات أصبحت وثائق مهمة تعكس ملامح الحياة في عصورهم.

وتُعدّ كتب الرحلات من "المنابع الغنية لمختلف العلوم، فهي بحر زاخر بالمعارف والاكتشافات، وسجلّ صادق لمظاهر الحياة المتنوعة ومفاهيم الشعوب عبر العصور"[1].

كما يمتاز أدب الرحلة باحتوائه على عناصر متعددة، مثل الأساطير والخرافات أحيانًا، إلى جانب المحسنات البلاغية، وجمال الألفاظ، ودقة الوصف، وسموّ التعبير.[2] وقد يستعين بأسلوب الحكاية السّلس والمشوّق، مما دفع بعض الدارسين إلى تصنيفه ضمن فنون الأدب العربي.

ومن أبرز السمات التي يتفرّد بها أدب الرحلات تعدّد أساليبه التعبيرية، إذ يجمع بين السرد القصصي والحوار والوصف وغيرها من الأنماط الفنية.[3] غير أن الأسلوب القصصي القائم على السرد المشوّق يظلّ الأبرز، لما يوفّره من متعة ذهنية وجاذبية للقارئ. وقد أسهم ذلك في اعتبار أدب الرحلات ردًّا قويًا

[1]- ينظر: أحمد فردوس، أهمية أدب الرحلات من النّاحية الأدبية، الكتاب 2، مجلة اللغة، العدد2، مارس 2016، ص 26

[2]- سيد حامد النساخ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب للنشر والتوزيع والطباعة، لبنان، د ت، ص 08.

[3]- ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر، 1956، ص06

على التهمة التي وُجّهت طويلًا إلى الأدب العربي، والمتمثّلة في قصوره في فن القصة.

ويُعرَّف أدب الرحلة في معجم المصطلحات العربيّة لمجدي وهبة بأنّه "مجموعة من الآثار الأدبية التي تدوّن انطباعات الكاتب عن رحلاته إلى بلدان مختلفة، حيث يصف ما يشاهده من عادات وسلوكيات وأخلاق، ويسجل بدقة المناظر الطبيعية التي يمر بها، وقد يسرد أحداث رحلته مرحلةً بعد أخرى، أو يجمع بين هذه العناصر جميعًا في نص واحد متكامل"[1].

وقد اشتهر العرب بهذا الفن، حيث نجد رحلة ابن بطوطة ورحلة البتنوني من بين أبرز النّماذج. ولا تقتصر أهمية أدب الرحلة على قيمته الأدبية أو الترفيهية فحسب، بل يُعدّ أيضًا مصدرًا مهمًا للدراسات التاريخية المقارنة، ولا سيما في ما يتعلق بالعصور الوسطى. لذلك اعتبره دارسو الأدب المقارن قسمًا مستقلًا ضمن تصنيفاتهم الحديثة[2].

كما يُعرَّف أدب الرحلة كذلك بأنّه نوع من "النثر يصف رحلة واقعية قام بها رحّالة متميّز، يوازن فيها بين تجربته الذاتية والموضوعية، مستعينًا ببنية مرنة في الشكل والمضمون، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه."[3]

كما يُنظر إليه بوصفه "فنًا من فنون القول العربي، يصوّر مجالات الحياة المختلفة كما عايشها الرحّالة الذي دوّن رحلته بنفسه، أو رواها لغيره ثم جرى تسجيلها وتوثيقها."[4]

---

[1]- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان للنشر وتوزيع، ط2، لبنان، 1984، ص17

[2]- ينظر: المرجع فنسه، ص17

[3]- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، مكتبة الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1995، ص41

[4]- أبو بكر أسماء، ابن بطوطة: الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992، ص11.

وقد أسهم أدب الرحلة، بفضل ثراء موضوعاته وتنوع تجاربه، في إبعاد كتّابه عن اللّهو اللّفظي والتكلّف في زخرفة العبارات، مفضّلين التّعبير السّلس الواضح الذي يؤدّي الغرض بصدق ونضج نابعَيْن من عمق التّجربة. وهي ميزة قد يفتقدها كثير من الأدباء في بعض عصورنا الأدبية[1].

ويُقصد بأدب الرّحلة ذلك اللّون من الكتابة الذي يدوّن فيه الكاتب رحلة واقعية يقوم بها إلى بلد من بلدان العالم، فيصف مشاهداته ويسجل انطباعاته بدقة وصدق، مع المحافظة على جمال الأسلوب. ويقوم هذا الفن على صفتين أساسيتين لا بد من توافرهما[2]:

1. أن يكون الكاتب رحّالة بطبعه، محبًا للأسفار ومولعًا بالاكتشاف.
2. أن يعبّر بأسلوب يعكس روح الرحلة، ويجسّد الشغف والرغبة العميقة التي تدفعه إلى خوضها.

ومن ثمّ يمكن القول أنّ أدب الرحلة يقوم على ركنين متكاملين: موضوع الرحلة ذاته من جهة، وشخصية الرحّالة من جهة أخرى. وأفضل نماذجه هي تلك التي تبرز فيها شخصية الكاتب بوضوح في صلب السرد، فيتفاعل مع الأمكنة والأحداث بروح إنسانية حيّة. أما الرحلة الجافة، التي تخلو من أثر الشخصية، فليست سوى عرض لحقائق مجردة تفتقر إلى السمة الإنسانية التي تمنح العمل الأدبي قيمته وفرادته.

ولهذا يُعدّ أدب الرحلة فنًا قائمًا بذاته، تتأسس قيمته على حضور ذات المؤلف ووعيه، وعلى وصفه لما يعرض له في أسفاره، وتسجيله لمشاعره وأحاسيسه أمام المناظر والمواقف التي يمر بها، إلى جانب تعريف القارئ بأحوال البلدان التي يزورها.

[1]- ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار اعربية للكتاب، ط2، ص 24.
[2]- ينظر: ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 38- 39

ولا يقتصر أدب الرحلة على وصف البلدان وأحوالها، بل يمتدّ إلى تصوير عادات أهلها وأخلاقهم وأفكارهم. وفي خضمّ ذلك كلّه يعبّر الرحّالة عن ذاته، ويكشف عن عواطفه، ويعرض وجهة نظره الخاصة تجاه القضايا التي يواجهها في أثناء رحلته[1].

فأدب الرحلة عملٌ فنيّ بطبيعته، ومن المتوقَّع أن يمتزج فيه الواقع بالخيال، غير أنّ دور الخيال يظل محدودًا ومقيّدًا بوظائف معيّنة، إذ يظل الأساس فيه للتجربة الواقعية المعاشة. وبناءً على هذا المزج بين الواقع والخيال، يقوم أدب الرحلة على ثلاثة أسس رئيسة[2]:

**أ-** أن تشكّل الرحلة الواقعية، كما عاشها الكاتب، النواة الأساسية للعمل الأدبي.

**ب-** أن يستند الكاتب إلى خلفياته الثقافية السابقة، من قراءاته في كتب الرحلات وخبراته المتراكمة.

**ج-** ألا يُغفل دور الخيال، بوصفه عنصرًا مكمّلًا يُضفي الحيوية والبعد الفني على النص.

وقد أسهمت الشخصية المستقلة للرحّالة في إثراء أدب الرحلة من حيث المضمون والشكل معًا. لذلك أدرك الدارسون صعوبة الكتابة في هذا الفن؛ إذ أشار مجدي وهبة إلى أنّ "الرحلات دُوّنت بأساليب متعددة، مما يدل على أنه لا يوجد نموذج واحد يسهل الاحتذاء به. ويرى بعض الباحثين أن هذا الفن، على الرغم من تشويقه للقارئ، ليس سهل المنال، بل هو من أصعب الفنون الأدبية؛ إذ لم يتفق الرحّالة ولا النقاد على شكل محدد أو مضمون ثابت يمكن الاقتداء

[1]- ينظر: ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 39- 40
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 41- 41

به"[1]. ومن هنا فإن أي محاولة لدراسة هذا اللون الأدبي لا بد أن تواجه تحدّي الفهم العميق لطبيعته وخصائصه المتفردة.

وعليه فقد ارتبط ظهور نماذج جديدة من أدب الرحلة بوعي أصحابها بقيمة الرحلة في أدقّ تفاصيلها، بوصفها حدثًا جديرًا بالتسجيل والتوثيق. ومن ثمّ حرصوا على تحقيق توازن بين جانبي الإمتاع والإفادة، دون الفصل بينهما، فجاءت نصوصهم ممتعة في أسلوبها، غنية في محتواها المعرفي.

ومع ذلك، يبدو أن أدب الرحلة لم يكن يُنظر إليه طويلًا بوصفه نوعًا أدبيًا مستقلًا أو ذا أهمية كبرى؛ وإلا لكان قد حظي باهتمام أوسع من النقاد والقراء. ومن الظواهر اللافتة في كثير من نماذجه المعروفة أنها لم تكن مؤلفات قائمة بذاتها، بل جاءت ضمن كتب أخرى، كما أن معظمها اتسم بقصر الحجم، الأمر الذي لم يُتح للرحّالة دائمًا فرصة كافية للإفصاح العميق عن ذاته وتجربته الخاصة[2].

ويُعرَّف أدب الرحلة بأنه جنس أدبي يمتلك من الخصائص والمقومات ما يميّزه عن سائر الأجناس الأدبية؛ فهو خطاب مخصوص له منطقه الداخلي، وبناؤه، وعناصره المميزة. ويجمع بين الإمتاع حين يروي المشاهدات، والإفادة حين يقدّم المعرفة، كما يثير الدهشة عندما يرصد الغريب والعجيب، مما يدفع الرحّالة إلى تقمّص دور السارد أو القاص في بناء نصه[3].

كما أنّ لكلّ رحلة طابعًا متفردًا، لأنّها تصدر عن شخصية إنسان متميّز، في مكان مخصوص، وفي ظروف خاصة. وقد أسهمت هذه الذاتية الواضحة في

[1]- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 17

[2]- ينظر: شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي: التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، دار رؤية للنّشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 27

[3]- ينظر: سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة: صورة في أدب الرّحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النّجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، النغرب، 1995، ص14

إثراء أدب الرحلة شكلًا ومضمونًا. لذلك رأى بعض الباحثين أن هذا الفن ليس سهل التناول، بل هو من أكثر الفنون الأدبية صعوبة وتعقيدًا[1].

أسهم أدب الرحلة، بفضل ثراء موضوعاته، في إبعاد كتّابه في كثير من الأحيان عن اللهو اللفظي والتكلف في زخرفة الأسلوب، مفضّلين التعبير السهل الذي يحقق الغرض بصدق نابع من عمق التجربة. غير أن ذلك لا يعني تخلّصه من جميع السمات أو المآخذ الأسلوبية؛ فهو قد يعتمد السجع أحيانًا، وقد يميل إلى الجفاف والصرامة العلمية، خاصة عند تناوله موضوعات علمية. ومع هذا، يبقى غالبًا محتفظًا بقدر من الطراوة والحيوية يجعله قريبًا إلى النفس، ليّن العبارة، غنيّ الدلالة.

وقد أثار هذا الفن اهتمامًا واسعًا لتنوعه وغزارة مادته؛ فهو تارةً علمي، وتارةً شعبي، وهو واقعي وأسطوري في آنٍ واحد، يجمع بين الإمتاع والفائدة. ومن ثمّ يقدّم مادة ثرية متعددة الجوانب، قلّ أن نجد لها نظيرًا في آداب الشعوب المعاصرة للعرب آنذاك.

وبفضل هذه الخصائص الأسلوبية وموضوعاته الشاملة التي تجمع بين العلم والأدب والخرافة والأسطورة، يمكن عدّ أدب الرحلة نمطًا خاصًا من أنماط القول الأدبي. وربما لا يبلغ مرتبة الفنون المستقلة كالقصة أو الشعر أو المسرحية، لكنه يستوعب شيئًا من أساليب هذه الفنون وموضوعاتها، دون أن يخضع خضوعًا تامًا لمعاييرها الصارمة[2].

ومن خلال التعريفات المتعددة الواردة في مقدمات الكتب والمقالات، يمكن استخلاص مفهوم جامع لأدب الرحلة بأنه: فنٌّ نثري يقوم على رحلة حقيقية في

[1]- ينظر: ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 47

[2]- ينظر: حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الاسكندرية، مصر، 1983، ص09.

زمان ومكان محددين، ينقل فيها الرحّالة إلى القارئ مشاهداته وانطباعاته وما خلّفته الرحلة في نفسه. ويمكن تحديد أبرز ملامحه في النقاط الآتية:

- يقوم على رحلة واقعية محددة الزمان والمكان.
- ينهض به رحّالة مولع بالسفر، يعبّر من خلاله عن تجاربه ومشاهداته.
- يمزج بين ذات الرحّالة بوصفه شخصية فاعلة، وبين الرحلة بوصفها موضوعًا.
- يعتمد أسلوبًا نثريًا صادقًا، معبّرًا عن الذات، بعيدًا عن التكلف والإسراف، محافظًا في الوقت نفسه على بنية فنية تضمن تماسك العمل ووحدته.

وبعبارة أخرى، ينبغي أن يتسم نصّ الرحلة بمعالم واضحة تضمن الترابط بين أجزائه من البداية إلى النهاية. فأدب الرحلة فنّ له أصوله وقواعده المرنة، وهدفه الأساس التأثير في القارئ والتواصل معه؛ إذ يمنحه متعة القراءة، ويثري ثقافته ومعارفه بطريقة غير مباشرة، حتى ليشعر وكأنه يقوم برحلة شيّقة من غير أن يغادر مكانه[1].

وقد أصبح هذا اللون من الأدب العربي يشكّل جانبًا مهمًا في مكتبتنا منذ الرحلة التي قام بها أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، والتي تُعدّ من أبرز النماذج المؤسسة لهذا الفن[2].

غير أن الملاحظ هو الصمت الطويل الذي أحاط بما يُعرف بأدب الرحلة الجزائري، الأمر الذي يثير الدهشة؛ إذ يمثل مادة أدبية ثرية، لعلها من أوسع

[1]- يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرّحلة الجزائري: نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجستير في اللغة والدب العربي، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2012- 2013، ص 33- 34.

[2]- سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، العدد: 1338، الكويت، جانفي 1987، ص 136.

المواد الإبداعية في الجزائر، لكنها لم تحظَ بالعناية الكافية، ولم تُكشف جوانبها للباحثين كما ينبغي[1].

إن موضوع أدب الرحلة يضمّ كلّ ما يراه ويشاهده المغترب في البلاد الأجنبية، من عادات وتقاليد، وأوضاع سياسية ودينية وثقافية واجتماعية واقتصادية، وأحداث يعايشها الغريب، ومواقف يتأثر بها، وهموم ومآسٍ، يعانيها أو يرى الشعوب تعانيها، كما أن جغرافيا البلاد ومشاعر وأحاسيس تدور في قلب المغترب تأتي ضمن موضوع أدب الرحلة.

وإن ما ذكره إنجيل بطرس في تعريف أدب الرحلة يلقي ضوءًا على موضوع أدب الرحلة، فهو يقول: "أدب الرحلات إذن هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحلة من بلد إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التغيير".[2]

يقول الأستاذ رضي الرحمن القاسمي: "كل ما يراه المغترب الرحال، ويعايشه، ويقرأه عن ملامح بلد أجنبي بعادات، وتقاليد سكانه، وخلفيته السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأحداث يعايشها الأديب ومواقف تأثر بها، وهموم عاناها في ذلك البلد الأجنبي، طالت أم قصرت مدة إقامته فيها، ومشاعر تختلج في نفس المغترب تجاه الأمور السابقة، و كذلك جغرافيا ذلك البلد".[3]

ومن ثم يمكن القول إن أدب الرحلة الجزائري ما يزال أدبًا بكرًا، لا تزال نصوصه في كثير منها خامًا، ولم ينل حظه من الدراسات والبحوث، خاصة إذا ما قورن بما كُتب حول فنون أخرى كالرواية والشعر.

---

[1]- عيسى بختي، أدب الرحلة الجزائري الحديث: سياق النص وخطاب الأنساق،أطروحة دكتوراه، تخصص: علوم الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015- 2016، ص07.

[2]- إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، جويلية 1975، ص52.

[3]- محمد رضي الرحمان القاسمي، الرحلة وأدبها في اللغة العربية: دراسة تاريخية، مجلة الداعي، أبريل – يونيو، 2013م، العدد6-7، ص 37

كما يتبيّن لنا أنّ أدب الرّحلة فنّ من فنون النّثر العربي، يقوم على تشكيل نصّ ذاتي شخصي، يعالج علاقة "الأنا" بـ"الآخر"، ويتجلى في بناء فني مخصوص يعبّر عن رؤية معينة، قد يُصرَّح بها في مستهلّ النّص، أو تُضمر في ثنايا السّرد والوصف والتّعليقات.

## 2-نشأة أدب الرحلة وتطوره

### ○ أدب الرحلة عند العرب

الرحلة حاجة وثقافة ومتعة وهواية وشجون، وهي قديمة كقدم الخليقة، فإنها تعني نقلة من مكان إلى مكان، وما كان حيوان في الدنيا ليثبت في مكانه، ويقبع في مأواه، فضلا عن الإنسان، الذي من طبيعته التحرك والانطلاق، وجَوبُ البلاد والانفتاحُ على الآفاق.

إذا كانت الرحلة قد لازمت الإنسان منذ بدايات وجوده، واستمرّت مع مختلف الشعوب عبر العصور، فقد عُرفت عند الصينيين والهنود والمصريين والفينيقيين واليونانيين منذ آلاف السنين، وخلّفت هذه الحضارات آثارًا كتابية مهمّة، من أبرزها ما دوّنه هيرودوت. غير أنّ العرب، الذين جاؤوا بعدهم، تميّزوا بتفوّق واضح في هذا المجال، سواء من حيث كثرة الرحّالة، أو اتساع الرقعة الجغرافية التي بلغوها، أو غزارة ما سجّلوه من معارف وتجارب، مما أتاح لهم إنتاج مادة ثقافية ثرية ونادرة[1].

ويبدو أن النزوع إلى الرحلة كان متأصّلًا في طبيعة العربي منذ نشأته، إذ تروي المصادر التاريخية أخبارًا متواترة عن تنقّلاته وأسفاره طلبًا للرزق والتجارة والمعرفة. فقد ارتحل العرب إلى مناطق بعيدة، فوصلوا إلى أطراف بلاد الشام والحبشة، وجابوا أقاليم نائية رغم ما كان يكتنف الرحلة من مشقّة

[1]- ينظر: محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، معجم بيبلوغرافي، دار الكتب والوثائق القومية للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص7

وصعوبات. وقد عرفت القبائل رحلات منتظمة، كما قام الأفراد بأسفار متعدّدة، ورد ذكر بعضها في الشعر الجاهلي، حيث تنقّل الشعراء بين مناطق كالحجاز ودمشق وبلاد الروم، حتى يُروى أن امرأ القيس بلغ القسطنطينية، ونُسبت إليه أشعار قالها في أنقرة.[1] كما اشتهرت قريش برحلتيها الموسميتين، الشتوية والصيفية، اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم.

وإلى جانب ذلك، شكّلت الرحلة عنصرًا بارزًا في بناء القصيدة الجاهلية، إذ حفلت كتب الأدب والتراجم بأخبار تنقّلات الشعراء داخل الجزيرة العربية وخارجها، غير أن هذه الرحلات لم تُدوَّن آنذاك في شكل أدب مستقل كما هو معروف لاحقًا، بل وصلت ضمن مضامين الشعر أو في سياق تراجم أصحابها[2].

ومع بزوغ الإسلام وانتشار دعوته، اتّسعت حركة الرحلة اتساعًا كبيرًا، حيث انطلق المسلمون يجوبون البلدان في إطار الفتوحات ونشر الدعوة، ففاقوا بذلك الأمم السابقة فيما خلّفوه من آثار في ميدان الرحلات. وقد ساعد على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية، مما أذكى في نفوس المسلمين حبّ الأسفار واستكشاف الآفاق. وأسهمت هذه الحركة في تنمية خبراتهم البرية والبحرية والجغرافية، كما دفعت المؤرخين والكتّاب إلى وصف البلدان المفتوحة وتدوين خصائصها، ووضع المعاجم الخاصة بها، الأمر الذي أسهم في تطوّر المعرفة الجغرافية والتاريخية في الحضارة العربية الإسلامية[3].

بعد ظهور الإسلام، توسّعت آفاق الرحلة العربية وتعدّدت دوافعها، فبلغت ذروتها وارتفع شأنها وقيمتها، لا سيما خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها

[1]- ينظر: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد،رسالة ابن فضلان، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق، سوريا، 1960، ص13.

[2]- ينظر: نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008، ص 17.

[3]- ينظر: نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 20.

من عصر الاستقرار والازدهار والمعرفة والحضارة، حتى مشارف القرن الخامس الهجري تقريبًا (الحادي عشر الميلادي). ومع ذلك، بدأت مؤشرات التدهور تظهر تدريجيًا، فضعفت الحركة الرحلية وقلّت كتاباتها، مع وجود بعض الاستثناءات البارزة مثل رحلات ابن بطوطة (ت 779هـ)، والمؤرخ الرحّالة عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)

وقد نوّه ابن خلدون بأهمية الرحلة، فأشار في مقدمته الشهيرة إلى أنّها "ضرورية لطلب العلم، واكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحّالين. كما كان الحج من أهم العوامل التي دفعت المسلمين من كل فجّ عميق إلى السفر والتنقّل."[1]

وقد بدأت الرحلة العربية تتحوّل إلى الكتابة منذ أواخر القرن السادس الهجري، فتوسّع اهتمام المؤلفين ليشمل وصف جغرافية البلدان وآثارها الحضارية، وسرد يوميات الرحّال، وذكر مشاعره وأفكاره وانتقاداته. ومع الوقت، أخذت الرحلة الطابع الأدبي، إذ أصبح أسلوبها سرديًا وقصصيًا يتميز بالبساطة والسلاسة، فانتقلت من البعد العلمي إلى البعد الأدبي.

ومن أبرز الرحّالة الذين ارتقوا بهذا الأسلوب الأديب الأندلسي محمد بن جبري (ت. 614هـ) برحلته المعنونة: "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، التي وصفها الدكتور حسين حممود حسني بأنها "تحتوي على معلومات لا غنى عنها للمؤرخ أو الجغرافي أو الأديب لدراسة هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي"[2]. وقد أثّرت رحلة ابن جبري في مؤلفي المغرب والأندلس الذين جاءوا بعده، منهم علي بن سعيد الأندلسي (ت. 685هـ) صاحب "المشرق في

[1]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة الكتب الثقافية الشهرية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنونوالآداب، الكويت، 1989، ص79

[2]- سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب العربي الجزائري: دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009، ص 42.

حلى المشرق"، ومحمد العبدري (688هـ) صاحب "الرحلة المغربية"، وابن رشيد السبتي الأندلسي (ت. 711هـ) مؤلف "رحلة ملء العيبة ."أما محمد بن إبراهيم اللوّيت المعروف بابن بطوطة (ت. 776هـ)، فقد فاق شهرة ابن جبري واتساع رقعة رحلاته، فكتب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حتى اعتُبر من أشهر الرحّالة شرقًا وغربًا، إذ لم يشهد الفكر اليوناني أو الروماني رحلات بمستوى ما سجّله المقدسي أو المسعودي أو الإدريسي أو ابن حوقل[1].

ويُلاحظ أن مسار التأليف في الرحلات العربية، ابتداء من القرن السادس الهجري، شهد انتقاله من المشرق إلى المغرب، مع تفوّق المؤلفين المغاربة في أدب الرحلات، وتركيزهم على تسجيل أخبار الأدباء والعلماء في كل قطر زاروه،[2] مع تطوير أساليبهم وطرائقهم في الكتابة.

مع مطلع القرن الثامن الميلادي، امتدت الفتوحات العربية لتشمل مناطق واسعة، فقد فتح العرب بلاد ما وراء النهر والأندلس، لتنبسط إمبراطوريتهم من حدود الهند شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالًا إلى صحارى إفريقيا جنوبًا.

وكان احتكاك العرب بالشعوب الأخرى له أثر كبير في نشأة المدن الإسلامية وتطورها، إذ تمكن العرب من السيطرة على مفاصل العلم والمعرفة، وحفظوا تراث اليونان، كما تقدمت على أيديهم العلوم المختلفة. وقد أتاح ذلك للمسلمين في العصور الوسطى أن يتصدروا السباق في مجالات الرحلات

[1]- ينظر: سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب العربي الجزائري: دراسة في النشأة والتطور، ص 43
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 44

والاكتشافات والدراسات الجغرافية، مما أفاد أوروبا لاحقًا بمعرفة أجزاء العالم المعروفة آنذاك[1].

ويضاف إلى ذلك أن ازدهار الحضارة الإسلامية، وسيطرة المسلمين في البحر والبر، إلى جانب طبيعة الدين الإسلامي الذي يشجع على السفر، كان جميعها عوامل محفّزة على تنمية حركة الأسفار والرحلات، وازدهار أدب الرحلة في العالم الإسلامي[2].

- **أدب الرحلة عند الغرب**

يعد احتكاك الأوروبيين بالحضارة الإسلامية في مناطق مثل إسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا دليلًا واضحًا على التأثير الكبير للمسلمين في أوروبا وعلى إسهامهم في تقدمها العلمي والثقافي[3].

تبلور مفهوم الترحال الغربي بغرض العلم والمعرفة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وكان الهدف الأساسي جمع المعلومات الجغرافية ودراسة عادات الشعوب وأحوال معيشتها والسياسات الحاكمة فيها. ووصف الرحالة الغربي بأنه رجل متحضر، صاحب رسالة حضارية يسعى لنشرها بين الشعوب المختلفة، ويعكف على السفر والتجوال لتدوين مشاهداته السياسية والأخبارية للمناطق التي يزورها لصالح الحكومات أو المؤسسات التي أوفدته[4].

يُعتبر أدب الرّحلات عند الغربيين امتدادًا لحركة الاستشراق، وجزءًا من تراث الإمبراطوريات الغربية الاستعمارية التي كانت حريصة على حماية مصالحها في البلدان الأخرى، فحتّى الرّحلات ذات الطّابع العلمي الأكاديمي

[1]- ينظر: زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائع العربي للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ص 05

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 06

[3]- ينظر: عبد القادر شريف بموسى، الشرق بمنظار الغرب: كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجا، مجلة الفكر الثقافية، العدد12، أكتوبر 2015، ص 22

[4]- ينظر: نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1996، ص24

كانت غالبًا مرتبطة بالسّياسة أكثر من ارتباطها بالعلم والحضارة. ومع ذلك، فإنّ هذا الأدب غني بالفائدة، حيث يجمع بين العلم والأدب والفلسفة والتاريخ والاقتصاد والسياسة، ويشمل كتابات العلماء ورجال الدّين والسياسة والعسكريين والمستكشفين، الذين دوّنوا مشاهداتهم الدّقيقة حول السّكان والعمران والنّبات والحيوان، ورسموا الخرائط والمواقع الأثرية وحدّدوا مصادر الثّروات. ومن بين هؤلاء: لودوفيكو فارتيما، وجوزيف بيتس، ووليام جيفورد باجلريف، وتشارلز دويت، وهاري سنت جون فيليب، إضافة إلى باحثين آخرين مثل بريتون[1].

استمرت رحلات الغربيين في جزيرة العرب لما يقارب أربعة قرون، ابتداءً من أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي. وبعد ذلك، خضعت الرحلات لضوابط رسمية واتفاقيات تحد من حرية الحركة، مثل البعثات الاستكشافية العلمية بقيادة كونزاك كريمانز المتخصص في اللغات السامية[2].

تميزت رحلات الغربيين في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي بطابع فردي وأهداف غامضة، وغالبًا ما اتسمت بالمغامرة، إلا أن نتائجها كانت علمية ومفيدة. أما في القرون اللاحقة، فكانت الرحلات ذات طابع ديني تبشيري، أو عسكري، أو سياسي رسمي، أو لأغراض علمية واستكشافية.[3] وبشكل عام، نظر الرحالة الغربيون إلى الأماكن التي زاروها من منظورهم الخاص، وسجلوا ملاحظات لم ينتبه لها غالبًا الرحالة العرب الذين زاروا تلك المناطق نفسها.

---

[1]- ناصر محمد الزمل، افتتاحية مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والاستشراق في الجزيرة العربية، مجلة الفكر الثقافية، العدد12، أكتوبر 2015، ص 06- 07

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 08

[3]- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، ط1، بيروت، 1961، ص10.

ومن الجدير بالذكر أن الرحالة الغربيين الأوائل في جزيرة العرب لم يتمكنوا من الاطلاع على أعمال الرحالة والجغرافيين المسلمين قبل القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وذلك لأن مؤلفاتهم لم تُترجم إلى اللغة اللاتينية إلا في ذلك الوقت، وهي لغة العلم والثقافة في[1] أوروبا.

وقد أشار الدكتور العسكر إلى أن معظم الرحالة الغربيين الذين جابوا مناطق الجزيرة العربية، وخاصة الحجاز، عمدوا إلى إخفاء هويتهم الحقيقية، وتنكروا في زي شخصيات عربية، وأظهروا مهارات لم يكونوا يجيدونها أصلاً، مع استثناءات قليلة، أبرزها الرحالة المغامر تشارلز مونتاج داوتي (Charles Doughty Montage)، الذي أعلن عن هويته الحقيقية في معظم الأحيان، ولم يأتِ للجزيرة من أجل دولة أو حاكم، بل كان رحالة مغامرًا، متدينًا إلى حد ما، ومتأثرًا بقصص العهد القديم في رحلاته، مع حرصه على الالتزام بالواقع قدر الإمكان[2].

### 3-خصائص أدب الرحلة

يتميّز أدب الرحلة بجملة من الخصائص التي أكسبته مكانة مميّزة بين الفنون الأدبية، ويرجع ذلك إلى تعدّد أغراض الرحلات وتنوّع أهدافها، فضلًا عن تداخلها مع أجناس أدبية أخرى كالمذكّرات والسيرة. ومن أبرز ما يميّز هذا الفن الشمول والتنوّع، إذ يجمع بين مجالات متعددة مثل التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع والسياسة، مع حرص واضح على الوصف الدقيق والتصوير الأمين والنقل الصادق، وفق منهج يقوم على الموضوعية وتحرّي الدقة العلمية بعيدًا عن الأهواء والنزعات الذاتية[3].

---

[1]- ينظر: ناصر محمد الزمل، افتتاحية مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والاستشراق في الجزيرة العربية، ص 09

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 13

[3]- ينظر : سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص09

أما من حيث التنوّع، فيتجلّى في غنى مادته، إذ يتراوح بين الطابع العلمي والشعبي، ويجمع بين الواقعي والأسطوري، فتلتقي فيه المتعة بالفائدة، مما يجعله فنًا غنيًا متعدد الأبعاد، يقدّم مادة معرفية وأدبية متكاملة.

ولكي يُعدّ النص من أدب الرحلات، ينبغي أن تتوافر فيه مجموعة من الخصائص الأساسية، من أهمها[1]:

- أن يقوم على رحلة واقعية حدثت فعلًا في زمان ومكان محدّدين، لا على الخيال أو الافتراض .
- أن يكون كاتب الرحلة رحّالة ينقل تجربته الشخصية، ويعبّر عن انطباعاته ومشاهداته أثناء تنقّله .
- الاعتماد على الوصف الدقيق، الذي يُعدّ الركيزة الأساسية في هذا الفن، حيث يتطلب دقة الملاحظة والانتباه، خاصة عند تصوير ما هو غريب أو غير مألوف بالنسبة للرحّالة .

ويُعدّ الوصف المحرّك الرئيس في أدب الرحلة، إذ يمنح النص حيويته ويثير إحساس الكاتب والقارئ معًا، ويتداخل أحيانًا مع الأسلوب الشعري، فيضفي على النص بعدًا جماليًا. كما يقوم السرد بدور مهم، حيث يتتبّع مسار الرحلة من بدايتها إلى نهايتها، مرورًا بمحطّاتها المختلفة، مع إفساح المجال للوصف والتأمل في بعض المواضع. وغالبًا ما يركّز الرحّالة على وصف الأماكن والعمران والطبيعة، بما فيها الأنهار والجبال والأشجار، إلى جانب عادات الناس وتقاليدهم[2].

[1]- ينظر: كراتشوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، ص 28

[2]- ينظر: محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة، ص23.

ولا تخلو كتب الرحلة من عناصر أدبية أخرى كالفكاهة والسخرية والإمتاع، كما تزخر بالقصص، سواء كانت واقعية أم مشوبة بالخيال،[1] إضافة إلى تصوير الحوادث والمعارك والصعوبات والأزمات التي يواجهها الرحّالة، مما يمنح هذا الفن طابعًا حيويًا يجمع بين السرد المشوّق والفائدة المعرفية.

يؤكّد هذا الطرح ما ذهبت إليه نوال عبد الرحمن الشوابكة، إذ ترى أنّ من أبرز ما يميّز أدب الرحلة تنوّع أساليبه، حيث يتراوح بين السرد القصصي الذي ينقل المغامرات والعواطف الإنسانية، وبين الحوار والوصف الطريف، بما يوفّره من متعة ذهنية للقارئ[2].

فالتنوّع الأسلوبي يُعدّ سمة جوهرية في هذا الفن، إذ يجمع بين السرد والحوار والوصف، ويغلب عليه الطابع القصصي، نظرًا لما تتضمّنه الرحلة من أحداث ومواقف تدفع الرحّالة إلى تسجيلها في قالب مشوّق. بل إن الرحلة في حدّ ذاتها تُشبه القصة، وإن لم تستوفِ جميع شروطها الفنية، فإنها تقترب منها من حيث اعتمادها على عناصر أساسية كالسرد والوصف والحوار، مما يجعلها صورة مبكرة للفن القصصي.

كما يتّسم أدب الرحلة بدقّة الوصف وبراعته، وهو ما يقرب الرحّالة من أسلوب القاص، فيقدّم نصًا يجمع بين الإمتاع والفائدة، ويتميّز بصدق التجربة ووضوح التعبير، بعيدًا عن التكلّف والزخرف اللفظي.[3] ولذلك نجد هذا اللون الأدبي حاضرًا بقوة عند العلماء والمفكرين والمؤرخين، الذين نقلوا تجاربهم بواقعية وعمق، مع توظيف عناصر جمالية كالمحسنات البلاغية، وجمال الألفاظ، ورقيّ التعبير، فضلًا عن حضور بعض الأساطير والخرافات أحيانًا.

---

[1]- ينظر: محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة، ص23.

[2]- ينظر: نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 55

[3]- ينظر: أحمد فردوس، أهمية أدب الرحلات من النّاحية الأدبية، ص 26- 28

ومن جهة أخرى، يقوم أدب الرحلة على بنية حكائية مميّزة تتكوّن من ثلاثة عناصر رئيسة[1]:

**. الذات الحاكية (الراوي):** وهو الرحّالة نفسه، الذي يروي تجربته ولا ينفصل عن خلفيته الثقافية ورؤيته للعالم، فيكون في آنٍ واحد راوياً وموضوعًا للحكي .

**. المحكي عنه** :وهو الرحلة أو السفر الذي قام به فعليًا، والذي يشكّل محور الخطاب الرحلي .

**. المُحكي (الحكاية)**: وهو النصّ الرحلي ذاته، الذي يعكس مجريات الرحلة ويواكب مراحلها .

ويُعدّ السفر العنصر المهيمن في هذا البناء، إذ يمثّل البنية الأساسية التي تنتظم حولها باقي المكوّنات من سرد ووصف وأخبار وحكايات وأشعار ومعارف. لذلك يتطوّر خطاب الرحلة تبعًا لمسارها، فيبدأ بذكر دوافعها وظروف انطلاقها، ثم يواكب تنقّلات الرحّالة وتحولاته المكانية، إلى أن يصل إلى خاتمتها، وهو ما يمنح هذا الخطاب خصوصيته ويميّزه عن سائر الأنواع الأدبية الأخرى. وينفرد أدب الرحلة بجملة من الخصائص التي تميّزه عن سائر الأجناس النثرية، وتمنحه طابعه الخاص، ومن أبرز هذه الخصائص ما يأتي:

أ- **هيمنة بنية السفر:** تُعدّ من أبرز خصائص أدب الرحلة، إذ إنّ الحركة والتنقّل عنصران أساسيان في حياة الإنسان، وهو ما ينعكس بدوره في العمل الأدبي الذي يحاكي هذا الواقع ويعبّر عنه.[2] فالسفر في النصّ الرحلي لا يُعدّ مجرد حدث عابر، بل يشكّل البنية المحورية التي تنتظم حولها مختلف عناصر السرد، ويمنح الرحلة مقصدها وغايتها، بحيث تنبثق الأحداث وتتطوّر في سياق

[1]- ينظر: جميلة روباش، أدب ارحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص 14- 15.

[2]- ينظر: عبد الرحمن مودن، أدبية الرحلة، دار الثقافة، ط1، 1996، ص 26

هذه الحركة المستمرة، مما يجعل بنية السفر الإطار الناظم لكل تفاصيل التجربة الرحلية.

**ب- هيمنة السردية الذاتية:** حيث تقوم الرحلة أساسًا على السرد الذي يؤطّر الأحداث وينظمها، منذ لحظة الانطلاق من الوطن حتى لحظة العودة إليه، في مسار زمني واضح المعالم. وتحضر ذات الرحّالة حضورًا قويًا في النص، فهي محور الحركة والتنقّل، وتنعكس رؤيته ومشاعره وأفكاره على مجريات الرحلة، فتكتسب طابعها الخاص من شخصيته.

**ج- الحكي بضمير المتكلم (مفردًا أو جمعًا):** ويُعدّ هذا من أبرز مظاهر حضور الذات في أدب الرحلة، إذ يعكس الطابع الواقعي للكتابة الرحلية. فالرحّالة يروي تجربته الشخصية بوصفه شاهدًا على أحداث عاشها في زمن ومكان محدّدين، كما أن الأشخاص الذين يتحدّث عنهم هم بدورهم شخصيات حقيقية. وتبعًا لذلك، فإن الأمكنة الموصوفة هي أماكن واقعية موجودة فعليًا، وهو ما يميّز أدب الرحلة عن الأجناس الأدبية الأخرى كالرواية والمقامة، التي يغلب عليها الطابع التخيّلي.

**د- دائرية الخطاب والعودة إلى نقطة الانطلاق:** يبدأ الخطاب مع انطلاق الرحّالة من موطنه، ويتابع مساره إلى الوجهة المقصودة، ثم يعود معه إلى نقطة البداية، فيتحقق نوع من البناء الدائري الذي يجعل النص ينتهي من حيث بدأ.

**ه- تعدّد المضامين وتداخل الخطابات:** تضمّ الرحلة أنماطًا متعددة من الخطاب، أدبية وغير أدبية، كما تتضمن معارف متنوعة في التاريخ والجغرافيا والاجتماع والدين وغيرها، مما يمنحها طابعًا موسوعيًا غنيًا[1].

[1]- ينظر: جميلة روباش، أدب ارحلة في المغرب العربي، ص 19

**و- الواقعية:** فالرحّالة شخص قام فعلًا برحلته، والأماكن التي يذكرها موجودة في الواقع، والأشخاص الذين يتحدث عنهم حقيقيون. وبهذه السمة تتميّز الرحلة عن الرواية أو المقامة اللتين يقوم بناؤهما أساسًا على الخيال.

ويتميّز أدب الرحلة كذلك بتنوّع الهوية الثقافية والاجتماعية للرحّالة، إذ قد يكون المؤلف أديبًا أو مؤرخًا أو جغرافيًا أو سفيرًا أو غير ذلك، وهو ما ينعكس بوضوح على طبيعة النصّ الرحلي ومضامينه، فيمنحه ثراءً وتعدّدًا في زوايا النظر والمعالجة.[1] كما يتّسم هذا الأدب بتنوّع أشكاله، مما يجعله فضاءً مفتوحًا لإنتاج الخطابات والمعارف، ووسيلة توجيه إدراكي تسهم في تشكيل رؤية القارئ للعالم[2].

وبناءً على ذلك، يمكننا القول إنّ أدب الرّحلة يشمل كل خطاب تتوفّر فيه مجموعة من الخصائص المميّزة، كاشتماله على أحداث وقصص تسهم في نقل صور تاريخية حيّة، إلى جانب وصفه الدقيق لمراحل الرحلة وطبيعتها. كما يهتمّ بتسجيل المعطيات الجغرافية للمناطق التي يزورها الرحّالة، ويقدّم وصفًا لعادات السّكان وتقاليدهم، فضلًا عن اعتماده على عرض الوقائع التّاريخية بصورة واقعية من خلال سرد أحداث وشخصيات حقيقية، ممّا يجعله يجمع بين البعد التّوثيقي والبعد الأدبي في آن واحد.

[1]- ينظر:شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 10.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

# الفصل الثاني: صورة الآخر في رحلة البتنوني إلى أمريكا

1- بطاقة فنية لكتاب رحلة محمد البتنوني
2- صورة الأخر في الجانب الحضاري والعلمي
3- صورة الأخر في الجانب الاجتماعي والثقافي
4- موقف الرحالة محمد البتنوني من الآخر الأمريكي

أدب الرحلة هو أحد أهم الأجناس الأدبية التي أسهمت في نقل صورة الآخر والكشف عن ملامح حضارته وثقافته وعلومه، إذ يتيح للرحّالة فرصة الاحتكاك المباشر بالمجتمعات على اختلافها وملاحظة أنماط عيشها ومنجزاتها. وفي هذا السياق، تبرز رحلة محمد البتنوني إلى أمريكا بوصفها نصًا رحليًا زاخرًا بالمشاهد والانطباعات التي تعكس رؤية الكاتب للآخر الغربي بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة.

### 1. بطاقة فنية لكتاب رحلة محمد البتنوني[1]

**عنوان الكتاب :**الرحلة إلى أمريكا

**المؤلف :**محمد لبيب البتنوني

**الجنس الأدبي :**أدب الرحلة (رحلة استكشافية إلى أمريكا)

**موضوع الكتاب:** وصف المجتمع الأمريكي والحضارة الأمريكية في مطلع القرن العشرين، ورصد المظاهر العمرانية والعلمية والاجتماعية والسياسية .

**لغة الكتاب :**العربية

**تصميم الغلاف:** ليلى يسري

**بلد المنشأ :**مصر (القاهرة)

**تاريخ الصدور:** 1930

**دار الطباعة/النشر:** مؤسسة هنداوي للنشر

**بلد النشر:** المملكة المتحدة

**طبعة:** 2021

**عدد الصفحات:** 218 صفحة.

**نوع الكتاب :**كتاب رحلات وصفي توثيقي بالصور

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2021.

**مضمون الكتاب:** يسجل المؤلف مشاهداته وانطباعاته عن الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يتناول كتاب "الرحلة إلى أمريكا" لمحمد لبيب البتنوني وصفًا تفصيليًا لمشاهدات الكاتب وانطباعاته خلال رحلته إلى أمريكا، فقد ركّز على تصوير مظاهر الحضارة الأمريكية الحديثة، خاصة في مدينة نيويورك، من خلال وصف العمران الشاهق، والتنظيم الإداري، والتقدم الصناعي والعلمي، ونظام التعليم، والحياة الاجتماعية والثقافية. كما عرض المؤلف صورة للآخر الأمريكي من منظور عربي، مزج فيها بين الإعجاب بما حققته أمريكا من تطور مادي وحضاري، وبين تسجيل بعض الملاحظات النقدية المرتبطة بالقيم الاجتماعية والفوارق الإنسانية، مما أضفى على الرحلة طابعًا وصفيًا تأمليًا يجمع بين التوثيق والانطباع الشخصي.

أمّا الكاتب محمد لبيب البتنوني فهو لم تحظَ سيرة محمد لبيب البتنوني بتفصيل واسع في المصادر، إذ اقتصرت المعلومات المتوافرة عنه على كونه رحّالةً ومؤرخًا مصريًا، وُلد بقرية البتنون محافظة المنوفية حاليًا. وقد عاصر عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، واهتمّ بتدوين مشاهداته التاريخية والرحلية، الأمر الذي جعله يترك عددًا من المؤلفات ذات الطابع الرحلي والتاريخي، من أبرزها: الرحلة الحجازية، رحلة الأندلس، وتاريخ كلوت بك. كما يُعدّ من الكتّاب الذين أسهموا في إثراء أدب الرحلة العربي الحديث، وتُوفّي سنة 1938م[1].

[1]- تحلية الديانة، تصوير العالم الأمريكي في رواية "الرحلة إلى أمريكا" لمحمد لبيب البتنوني على نظرية أدب السفر كارل طومسون، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، النيجر، 2024، ص 13.

## 2. صورة الأخر في الجانب الحضاري والعلمي

قدّم محمد البتنوني في رحلته إلى أمريكا صورة للآخر الأمريكي اتّسمت بالإعجاب لما بلغه من تقدّم عمراني وعلمي، حيث ركّز الكاتب في وصفه للحضارة الأمريكية على المعالم الحضارية والإنجازات التقنية التي شاهدها واندهش من عظمتها. ويتجلّى ذلك بوضوح في تصويره للبنايات الشاهقة حين قال: **"وول ورث بلدنج: بناءٌ عظيم سُمِّي باسم صاحبه... وهذا البناء يتكون من ستين طبقة فيما فوق القاعدة الهائلة التي يرتكز عليها، وهي شبكة من الصلب تنزل في هذه الأرض الصخرية إلى مسافة بعيدة بأعمدة من الصلب، مفرغة من الوسط مُلئت بالإسمنت، حتى إذا تثبّتوا من كونها تحمل هذا الجسم الهائل أقاموا هذا البناء، الذي كله مكاتب للأعمال التجارية التي لا حصر لها. وقاعدة هذا البناء تتكون من ثلاث طبقات في باطن الأرض."**[1]، وقد عزّز أوصافه في كتابه بصور للبنايات الشاهقة، وهذا ما يدل على أنّ البتنوني قد أغرم بجمال العمران والتشييد المقام بأمريكا خلال رحلته، لدرجة أنّه وصف نيويورك قائلا: **"هي مدينةٌ لا أجد وصفًا يفي بعظمتها! ولكن إذا كان الحاسبون وضعوا الصفر على يمين العدد فنقله من درجة الآحاد إلى العشرات، ثم إلى المئات، ثم إلى الألوف، فأنا أشير عليك أن تضع إلى جانب لفظ «عظيمة» كلمة «جدًّا» مكررة ثلاث مرات لتنقلها إلى درجة الآلاف، وهي أول الوحدات العددية عند الأمريكان، وبالجملة فهي أكبر مدينة في العالم كله. أمّا شكلها فمستطيل بين نهرين: النهر الشرقي من جهة الشرق، ونهر هدسون من جهة الغرب، وهما النهران العظيمان اللذان لا تهدأ فيهما حركة المراكب البخارية"**[2]، فهنا كلمة "جدا" كما وصفها مكرّرة ثلاث مرات تبرز

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 21.
[2]- المصدر نفسه، ص 18

مدى إعجابه واندهاشه وانبهاره من شساعة مدينة نيويورك وجمالها، وهذا ما جعله يسترسل في وصف موقعها بين النهرين العظيمين اللذان يزخران بحركة المراكب البخارية يوميا.

استرسل محمد البتنوني في وصفه لما وصل إليه الأمريكي من تقدم وازدهار من خلال رحلته التي ضمّنها كتابه، فتجلّت فيه الصورة الحضارية والعمرانية التي تعكس مستوى التقدّم المدني والتنظيم الحضري الذي بلغته الولايات المتحدة الأمريكية. فقد أبدى الرحّالة نوعًا من الانبهار والانجذاب لما شاهده من ضخامة المنشآت وتكامل مرافقها، إذ لم يكن البناء مجرد فضاء إداري أو تجاري، بل مدينة مصغّرة تضم مختلف الخدمات الضرورية للإنسان؛ حيث أشار إلى وجود مرافق ترفيهية وصحية وخدمية داخل المبنى نفسه، مثل بركة السباحة والحمامات وأماكن الأكل والزينة والمستشفى ونقطة الشرطة، وهو ما يعكس تصوّرًا عمرانيًا متكاملا قائمًا على توفير الراحة والتنظيم داخل فضاء واحد، حيث يقول البتنوني: **"وفي البدروم غير الآلات الكهربائية محل فيه بركة كبيرة للعوم، وإلى جانبها حمامات تركية... وفيه أيضًا أمكنة للأكل والزينة"**[1]، فهنا تعكس هذه الصورة مدى العناية بجودة الحياة والخدمات العامة داخل المنشآت الكبرى والسعي لتوفير الرفاهية والراحة للمواطنين.

ويتّضح البعد الحضاري كذلك في التنظيم المحكم الذي يطبع حركة العمل داخل هذا الفضاء العمراني الضخم، إذ يشير الكاتب إلى كثافة النشاط البشري ووجود نظام إداري دقيق يضمن استمرارية الخدمات، من خلال تخصيص عمال للصيانة والنظافة وتنظيم البريد الداخلي بشكل منتظم، فضلًا عن استيعاب البناء لعدد هائل من العاملين **"ومجموع من يشتغل في هذا المكان خمسة عشر ألف نفس... وفي هذا المكان نقطة بوليس، وفيه من عمال الصيانة والنظافة**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 23

**من يقوم بجميع حاجاته"**[1]. كما يكشف وصف شارع برودواي والمحلات التجارية الكبرى عن صورة مدينة نابضة بالحركة الاقتصادية والتجارية "**وفي هذا الشارع الحركة التجارية بمعناها الحقيقي، وفيه أكبر المحال التجارية في نيويورك**[2]"، مما يعكس ازدهارًا حضاريًا لافتًا.

أمّا الجانب العلمي، فقد برزت صورة الآمريكي من خلال ما سجّله البتنوني من مظاهر التقدّم التقني والهندسي التي تقوم عليها الحياة الحديثة. فقد توقّف عند عرّج على نظام المصاعد بوصفه إنجازًا علميًا متقدّمًا، سواء من حيث كثرتها أو انتظام عملها أو أنظمة الأمان المعتمدة فيها، إذ تعمل باستمرار لنقل أعداد كبيرة من الناس دون توقّف "**وفي هذا البناء 24 مصعدًا... وحركتها مستمرة ليلًا ونهارًا، بحيث ينتقل فيها كل يوم خمسون ألف نفس**[3]". كما أبرز الكاتب الدقة العلمية في تصميم وسائل الحماية من الحوادث، موضحًا وجود تقنيات تمتص الصدمات وتحافظ على سلامة الركّاب "**وقد أحاطوا هذه المصاعد بما يحفظها من كل خطر فيما لو قطعت أسلاكها الرافعة**[4]".

ويظهر التقدّم العلمي أيضًا في وسائل الوقاية من الحرائق واعتماد أساليب بناء حديثة قائمة على المواد المقاوِمة للنيران، إلى جانب وجود شبكة ضخّ مياه فعّالة تمتد إلى أعلى طوابق البناء "**وقد أحاطوا هذا البناء بما يمنعه من الحريق... وفي أسفل البناء مضخة عظيمة أنابيبها واصلة إلى الطبقة الستين**"[5]. كما يعكس انتشار وسائل الاتصال الحديثة داخل المبنى تطورًا تكنولوجيًا واضحًا، وهو ما يتجلّى في كثرة الهواتف ونظام البريد المنظم "**وفيه**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 23
[2]- المصدر نفسه، ص 23
[3]- المصدر نفسه، ص 23
[4]- المصدر نفسه، ص 23
[5]- المصدر نفسه، ص 23

**2000 تليفون، والبريد يُحمل إليه يوميًا 150 ألف مظروف"**[1]. وهذا ما يبيّن أنّ البتنوني قدّم صورة للأمريكي بوصفه مجتمعًا بلغ درجة عالية من التطور العلمي والتّقدم الحضاري العمراني، حيث تقوم هندسته على التنظيم، والدقة، وتسخير التكنولوجيا لخدمة الإنسان وتيسير حياته، وكذا توفير الراحة والرفاهية له.

استرسل لبيب في تقديم صور المجتمع الأمريكي على أنّه مجتمع بلغ درجة كبيرة من التطور الحضاري والعلمي، حيث رصد الرحّالة مظاهر العمران الحديث، والتنظيم الاجتماعي، والتقدّم التقني الذي يطبع الحياة اليومية في مدينة نيويورك. وقد جاءت هذه الصورة محمّلة بشيء من الانبهار والإعجاب، وإن لم تخلُ أحيانًا من ملاحظات نقدية تعكس اختلاف المرجعيات الثقافية بين الأنا والآخر.

ففي الجانب العمراني الحضاري، قدّم البتنوني صورة لمدينة قائمة على الحركة الدائمة والتنظيم المحكم، تتجلّى في تطوّر وسائل النقل واتساع البنية التحتية. فقد أشار إلى ضخامة شبكة السكك الحديدية وكثرة المحطات وما تستوعبه من أعداد هائلة من الناس، بما يعكس حيوية المدينة واتساعها العمراني **"فيكفي أن أقول لك: إن في منهاتان اثنتي عشرة محطة، تنتهي إليها كل يوم مئات من القطر، ويدخل منها إلى المدينة يوميًا أكثر من أربعمائة ألف نفس"**[2]. كما أبرز اعتماد القطارات على الكهرباء داخل المدينة تفاديًا للتلوث الناتج عن الفحم **"وكل قطار يخرج من المحطة تجره قاطرة كهربائية إلى خارج**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 23
[2]- المصدر نفسه، ص 34

**المدينة... خشية الدخان الذي ينشأ عن الفحم"**[1]، وهو ما يعكس وعيًا حضاريًا بالنظام والنظافة.

وتظهر صورة الأمريكي الحضارية أيضًا في وصف الحركة اليومية داخل المدينة، حيث تبدو نيويورك فضاءً نابضًا بالحياة الاقتصادية والعملية، إذ وصف كثافة الحركة البشرية وازدحام وسائل النقل والشوارع بطريقة تبرز ديناميكية المجتمع الأمريكي **"فالتراموايات والقطارات التي على الأرض وفوقها وتحتها تراها كلها مكتظة بالناس... والأوتوموبيلات والأتوباثات والتكسات والموتسكلات كلها تراها في حركة لا يمكن وصفها"**[2]. وهذا ما يظهر انبهار لبيب في حركية الشارع الأمريكي حين رحلته.

كما تجلّت مظاهر العمران والترفيه في وصف الحدائق العمومية الكبرى وأماكن الاستجمام مثل "كوتي أيلن"، التي تحتشد فيها أعداد كبيرة من الناس وتتوفر فيها وسائل التسلية والمرافق المختلفة، يقول البتنوني: **"فوجدت الناس قد حشدت فيها بمئات الآلاف، ويتوفر في هذه الجهة كثير من دواعي التسلية**[3]". ويكشف وصف الفنادق الضخمة عن تطور البنية الفندقية وارتباطها بالخدمات الحديثة، إذ تضم مرافق متعددة من مطاعم ومكاتب وخدمات صحية وتجارية **"وفيها تياترو ودكاكين لكل ما يريده المسافر... ومكتب للتلغراف وآخر للبوستة"**[4]، وهذا الوصف ينمّ عن تطوّر يجمع بين الحضارة والعلم، إذ نجد أنّ البتنوني فيما سبق من اقتباس قد مزج بين انبهاره من المنشآت الفندقية وبين الخدمات التي تقدّمها هذه المنشآت.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 34
[2]- المصدر نفسه، ص 35
[3]- المصدر نفسه، ص 37
[4]- المصدر نفسه، ص 39

أما في الجانب العلمي، فقد رسم البتنوني صورة الآخر الأمريكي بوصفه مجتمعًا متقدّمًا تقنيًا يعتمد على الابتكار والعلم في إدارة شؤون الحياة. ويتجلّى ذلك في الاعتماد الواسع على الكهرباء، سواء في الإنارة أو النقل أو تشغيل الفنادق **"وفي نيويورك ثلاث شركات لإنارتها بالنور الكهربائي"**[1]، إضافة إلى انتشار وسائل الاتصال الحديثة مثل الهاتف الذي بلغ عدد مشتركيه أرقامًا ضخمة **"وفيها شركة للتليفونات يبلغ عدد موظفيها... والمشتركون فيها يبلغ عددهم 1564120"**[2]، وهذا ما يؤكّد انتشار التّطور التكنولوجي وسط المجتمع الأمريكي مع إقبال هذا الأخير عليه وتقبّله له.

كما تتجسّد صورة الأمريكي في الناحية العلمية في تطور المؤسسات التعليمية وكثرة الجامعات والمدارس، وهو ما يعكس اهتمام المجتمع الأمريكي بالعلم والتكوين الأكاديمي **"ففيها 12 جامعة وكلية، بها نصف مليون من الطلبة... وأكبر هذه الجامعات هي جامعة كولومبيا"**[3]. وقد أشار الرحّالة إلى تنوع التخصصات العلمية والهندسية والطبية داخل هذه الجامعات**"أو في الهندسة، أو فن المعمار، أو الحقوق، أو الطب، أو العلوم السياسية"**[4]، مما يدل على تطور المعرفة العلمية ومكانتها وإقبالهم عليها.

وتبرز صورة الآخر الأمريكي بوصفه فردا متقدّما يواكب التّطور الهندسي والتّقني، حيث يتشكّل تمثّل الآخر الأمريكي في رحلة محمد البتنوني من خلال مشاهدات دقيقة ترصد ملامح مجتمع حديث يقوم على التقدّم، ففي الجانب العمراني الحضاري، قدّم البتنوني صورة لمدن أمريكية متطورة تقوم على التنظيم العمراني الدقيق والبنية التحتية الحديثة، ويتجلى ذلك في وصفه لأثر

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 34
[2]- المصدر نفسه، ص 34
[3]- المصدر نفسه، ص37
[4]- المصدر نفسه، ص 38.

لنكولن الذي صوّره باعتباره معلمًا معماريًا مهيبًا يرمز إلى عظمة الدولة الأمريكية وقيمها السياسية، إذ وصفه قائلاً: **"هو بناء مربَّع قام على الشكل الروماني، وتراه على نجد مرتفع، تدور من حوله تلك الأعمدة الفخمة، ويُصعد إليه بجملة درجات واسعة... وفي وسطه تجاه الباب تمثال لنكولن، جالسًا في صندلية من الرخام"**[1]. ويكشف هذا الوصف عن إعجاب الرحّالة لبيب بفخامة العمارة الأمريكية وما تحمله من رمزية حضارية وسياسية.

كما برزت صورة الأمريكي الحضارية في وصف المتاحف الكبرى التي تعكس اهتمام المجتمع الأمريكي بحفظ المعرفة وتقديمها بصورة علمية حديثة، فقد أبدى البتنوني إعجابه بالمتحف الجيولوجي الذي يضم معروضات طبيعية وتاريخية متنوعة، من معادن وأحافير وتماثيل تمثل الشعوب والحضارات المختلفة، فقال: **"هو خليط من معروضات مختلفة، وفيه كثير من الأحجار والمعادن المتغايرة، من ذهب وفضة ونحاس... وبجانبها هياكل كثيرة من تلك الحيوانات البائدة"**[2]. ويُظهر هذا الوصف تطور المؤسسات الثقافية والعلمية التي تسهم في نشر المعرفة وربط الزائر بالتاريخ الطبيعي والإنساني للمجتمع الأمريكي.

وتتجلى مظاهر التقدم الحضاري كذلك في اهتمام المجتمع الأمريكي بالتربية العلمية والتثقيف العمومي، إذ لاحظ الرحّالة حضور الأمهات مع أطفالهن داخل المتاحف لتعليمهم مبادئ العلوم والمعرفة، في مشهد يعكس وعيًا اجتماعيًا بأهمية التربية العلمية منذ الصغر، حيث يقول: **"وأحسن شيء أعجبني تلكم الأمهات ومعهن أولادهن، وهن يُلقين عليهن دروسًا في علم**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 64.
[2]- المصدر نفسه، ص 37

**الحيوان، دروسًا عميقة في حياة الحيوان، وفي شكله ومقره"**[1]. ويكشف هذا المشهد عن حضور الثقافة العلمية في الحياة اليومية للأمريكيين.

أما في الجانب العلمي، فقد رسم البتنوني صورة الآخر الأمريكي بوصفه مجتمعًا يقدّس العلم ويستثمر في التعليم والتكوين، وهو ما يظهر في حديثه عن المؤسسات التعليمية الخاصة بالسود بعد التحرر من العبودية، إذ أشار إلى جامعة «توسكاجي» التي أسسها الزعيم بوكر واشنطن، وما تضمّه من تخصصات مهنية وعلمية متعددة، فقال: **"وها هي الآن من أكبر الجامعات، يتعلم فيها أربعة آلاف نفس من السود من الجنسين... وفيه قسم للأشغال الكهربائية، وقسم للطبيخ، وقسم للنجارة الدقيقة..."**[2]. ويبرز هذا الوصف اهتمام المجتمع الأمريكي بالتكوين العملي وربط التعليم بالحياة الاقتصادية والإنتاجية.

كما تجلّت صورة الآخر العلمي في تعدد المؤسسات التعليمية المتخصصة، مثل جامعة هوارد التي تضم مدارس للطب والقانون والتجارة والفنون، وهو ما يعكس تطور النظام الأكاديمي الأمريكي واتساع مجالات المعرفة، إذ يذكر البتنوني: **"ولهم بواشنطون مستشفى جميع أطبائه وممرضيه من السود الذين تعلموا في جامعة هوارد... وبهذه الجامعة مدرسة للطب، ومدرسة للقانون، ومدرسة للتجارة"**[3]. ويكشف ذلك عن إيمان المجتمع الأمريكي بدور العلم في تحقيق التقدم الاجتماعي، هذا رغم ما تحمله هذه العبارة من تمييز عنصري متجسّد في التّعاملات اليومية لدى الشّعب الأمريكي بين السود والبيض.

وعليه، تتجلّى صورة الآخر الأمريكي في رحلة محمد البتنوني بوصفه نموذجًا حضاريًا وعلميًا متقدّمًا، استطاع أن يحقق نهضة عمرانية وتقنية لافتة

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 72
[2]- المصدر نفسه، ص 70.
[3]- المصدر نفسه، ص 70

تقوم على التنظيم، والدقة، وتسخير العلم لخدمة الإنسان وتيسير حياته اليومية، وتحقيق الرّاحة والرّفاهية له، فقد قدّم الرحّالة صورة لمجتمع حديث ينبض بالحركة الاقتصادية والعلمية، تتجسّد ملامحه في ضخامة المنشآت العمرانية، وتطور وسائل النقل والاتصال، وازدهار المؤسسات التعليمية والثقافية، فضلًا عن حضور التكنولوجيا في مختلف مرافق الحياة. وقد جاءت هذه الصورة مشبعة بنبرة واضحة من الإعجاب والانبهار، انعكست في كثرة الأوصاف التفصيلية التي خصّ بها البتنوني مظاهر التقدّم الأمريكي.

### 3. صورة الأخر في الجانب الاجتماعي والثقافي

رغم ما تحمله الصورة التي قدّمها لبيب عن الآخر الأمريكي خلال رحلته من انبهار واضح بالتقدّم الحضاري والعلمي، إلّا أنّها كانت صورة ملطّخة ببعض الملاحظات النقدية الضمنية في الجانب المعاملاتي الاجتماعي، والتي تكشف حدود هذا التقدّم وتناقضاته الداخلية. فقد بدا المجتمع الأمريكي، في نظره، مجتمعًا متقدّمًا تقنيًا ومؤسسيًا، لكنه في الوقت نفسه يعاني من تناقض حادّ بين الخطاب القائم على الحرية والمساواة والواقع المعاش الذي يُبقي على أشكال من التمييز العرقي، لا سيما بين البيض والسود.

ويتجلى هذا البعد النقدي في رصد لبيب لصور بعض التجاوزات واستمرارية الفوارق الاجتماعية والقانونية رغم إلغاء العبودية، إذ يشير إلى أن السود ما زالوا يعانون من أشكال الإقصاء في الحياة العامة، فيقول: **"إلا أن الحواجز كانت ولا تزال بين اللونين في مرافقهم الحيوية! حواجز لا تزال مع كثرة ما في أقوالهم من ذكر كلمات الحرية والمساواة ملموسة محسوسة، خصوصًا في ولايات الجنوب"**[1]. ويكشف هذا الاقتباس عن مفارقة واضحة بين المبادئ المعلنة والممارسة الفعلية داخل المجتمع الأمريكي.

كما يبرز هذا النقد في وصفه لقيود التمييز التي تطال السود في مختلف مناحي الحياة، من المواصلات إلى السكن والتعليم والعمل، وهو ما يعكس بنية اجتماعية غير متكافئة رغم مظاهر التطور العام، إذ يقول: **"في سكة الحديد لهم عربات خاصة بهم، ولا يركبون الترام إلا في نهاية عرباته... وحتى التياترات لا تعطى لهم الأمكنة الأولى... وحتى الكنائس لا يجتمعون فيها مع**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 67- 68

**البيض، بل لهم بيع خاصة بهم"**[1]. ويؤكد هذا النص حضور نظام اجتماعي قائم على الفصل غير المعلن الذي يناقض شعارات المساواة.

ويزداد الطابع النقدي وضوحًا حين يشير إلى التمييز القانوني والاجتماعي في القضاء والوظائف والتعليم، بما يعكس عمق الفجوة بين المجموعتين، حيث يورد: **"وبالجملة إذا قامت بأمريكا أية شبهة على عفاف امرأة بيضاء (ولو بإرادتها) ضد أيّ أسود فلا يغسلها غير دمه، حتى إن كان بريئا"**[2]. ويُبرز هذا الاقتباس اختلال ميزان العدالة في التطبيق العملي رغم وجود قوانين تدّعي المساواة.

ومن جانب آخر تتجلّى صورة الأمريكي من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية بوصفها صورة مجتمع يؤمن بقيم الحرية والاتحاد والعمل الجماعي، ويمنح الرموز الوطنية مكانة مركزية في الوعي الجمعي. فقد صوّر الرحّالة أثر لنكولن باعتباره فضاءً مهيبًا يرمز إلى عظمة الدولة الأمريكية وإلى تقديرها لقادتها التاريخيين الذين أسهموا في توحيد الأمة وإنهاء العبودية، وهو ما يكشف عن ثقافة تقوم على تخليد الشخصيات الوطنية وربطها بقيم المجد والنهضة. ويتجلى ذلك في وصفه للمكان بقوله: **"وفي وسطه تجاه الباب تمثال لنكولن، جالسًا في صندلية من الرخام، قامت على قاعدة مرتفعة، واتجاه وجهه إلى البرلمان، كأنه يشير بذلك إلى أنه هو القوة الوحيدة التي يضع كل إنسان فيها ثقته في وصول البلاد إلى سنام عظمتها ومجدها".**[3]

كما تبرز صورة الآخر الأمريكي ثقافيًا من خلال تمسّكه بقيم الوحدة الوطنية والسلام والتسامح بعد الأزمات الكبرى، حيث نقل الرحّالة كلمات لنكولن التي تدعو إلى تجاوز الأحقاد، وتوحيد الجهود، والعمل من أجل مصلحة

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 68
[2]- المصدر نفسه، ص 69.
[3]- المصدر نفسه، ص 64.

الأمة. ويبرز ذلك في قوله: **"يجب أن نُشمّر عن ساعد الجد في تتميم العمل الذي بين أيدينا مبتعدين عن الأحقاد، مرتبطين بروابط الاتحاد، متّصفين بالإحسان، متمسكين بالحق في حقيقة الحق"**[1]. ويعكس هذا الاقتباس صورة مجتمع يقدّس العمل الجماعي ويجعل من التضامن أساسًا لاستقرار الدولة.

ومن الجانب الاجتماعي، تتجلى صورة الآخر الأمريكي في موقفه من قضية العبيد والسود، إذ أبرز الرحّالة التحوّل الذي عرفه المجتمع الأمريكي بعد الحرب الأهلية، وانتقال السود من وضع العبودية إلى التعليم والعمل والمشاركة الاجتماعية، رغم استمرار بعض مظاهر التمييز العنصري. فقد أشار إلى وجود مؤسسات تعليمية ومهنية مكّنت السود من الارتقاء الاجتماعي، بقوله: **"والسود اليوم غيرهم بالأمس؛ فمنهم المتعلمون، ومنهم كثير ممن أحرز لقب دكتور في الطب أو الحقوق"**[2]. غير أنّ الصورة لم تخلُ من نقدٍ اجتماعي، إذ سجّل استمرار الفوارق بين البيض والسود في بعض الولايات، وهو ما يكشف رؤيةً مركّبة للآخر الأمريكي تجمع بين الإعجاب بالتقدم الحضاري والتنبيه إلى تناقضاته الاجتماعية.

وتنعكس صورة الآخر الأمريكي كذلك في تقديسه للعمل والانضباط والسعي إلى النجاح، حيث صوّر الرحّالة الشعب الأمريكي شعبًا حيويًا لا يعرف الكسل، ويربط تقدمه بالاجتهاد والاتحاد. ويتضح ذلك في قوله: **"قوم لم يجعلوا الكلام سلاحهم، والقطيعة وحدتهم، بل كانوا كلهم يدًا واحدة على عدوهم، فنالوا بفضل الجهاد وفضيلة الاتحاد الغلبة التي بنوا بها صرح فخارهم"**[3]. ويعكس هذا الاقتباس صورة ثقافية لمجتمع يربط مجده بالقوة العملية والعمل المنتج لا بالشعارات المجردة.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 65
[2]- المصدر نفسه، ص 70.
[3]- المصدر نفسه، ص 74.

وحسب نظرة لبيب فإنّ ثقافة الولايات المتحدة تقوم على أساس متين من المؤسسات التعليمية المتنوعة، إذ تنتشر فيها عشرات الآلاف من الكليات ومئات الجامعات، إضافة إلى المدارس الابتدائية التي تغطي مختلف الولايات. ومن خلال هذا الطرح يبرز الدور الكبير للتمويل الخاص في دعم التعليم، إذ اعتمدت هذه المؤسسات إلى حد كبير على هبات الأفراد والجمعيات الخيرية، إضافة إلى تبرعات رجال الأعمال الذين سخروا ثرواتهم لخدمة المصلحة العامة. ويذكر الرحّالة في هذا الصدد نماذج بارزة مثل روكفلر وكارنيجي ومورغان وفورد، الذين جعلوا من الثروة وسيلة لبناء صرح تعليمي وثقافي ضخم، إلى جانب تبرعات رمزية أخرى ارتبطت بأحداث تاريخية أو دوافع إنسانية. ويظهر ذلك في قوله: **"وهذه وتلك إنما قامت بأموال المتبرعين من الأفراد، أو الجمعيات الخيرية، أو من هبات هؤلاء الرجال الذين ذهبت بهم هممهم إلى إحراز مجدهم من طريق خدمتهم للمصلحة العامة"**.[1]

وقد عرّج البتنوني خلال حديثه عن صورة الثقافة الأمريكية على شمولية الدعم الموجّه إلى مختلف مجالات التعليم والبحث، حيث لا تقتصر الهبات على بناء المدارس والجامعات، بل تمتد إلى المكتبات، والمعامل العلمية، والمراكز الرياضية، والنوادي الطلابية، والمتاحف، والمرافق الطبية، بما يجعل المؤسسات التعليمية فضاءات متكاملة للتكوين العلمي والإنساني. ويؤكد النص هذا الطابع الشامل بقوله: **"فمنها ما كان لترقية الدراسة في ذاتها، أو لترقية حال الطلبة والمدرسين، ومنها ما كان لمساعدة فقراء الطلبة على الاستمرار في دراستهم... ومنها ما كان لإشادة المكتبات الفخمة... ومنها ما هو لإقامة المعامل الكيماوية... ومنها ما هو لإشادة المتاحف المختلفة"**[2].

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 90.
[2]- المصدر نفسه، ص 90- 91.

ومن جهة أخرى، يعكس نموذج جامعة هارفارد صورة واضحة عن هذا النظام التعليمي المتقدم، حيث تقوم الجامعة على تعدد المباني والتخصصات، وتوفر بيئة علمية متكاملة تشمل السكن، والمكتبات، والمختبرات، والأنشطة الثقافية والرياضية، بل وحتى إصدار جريدة جامعية تُدرّب الطلبة على العمل الصحفي. ويظهر هذا التنظيم المتكامل في قوله: **"وهذه الجامعة توجد في متسع عظيم من الأرض... وكل بناء منها لنوع خاص من العلوم والفنون... ومن هذه البنايات ما هو لسكن الطلبة... ومنها ناد كبير يمضي فيه الطلبة أوقات سمرهم"**[1]، وبذلك، تكشف صورة الآخر الأمريكي في هذا المقطع عن ثقافة تقوم على العلم، والتخصص، والعمل المؤسسي، والدعم الأهلي، بما جعل التعليم أحد أهم ركائز القوة الحضارية في الولايات المتحدة.

وقد بالغ البتنوني في إبراز الأمريكي بصورة متحضّرة من خلال إبراز الدور المركزي للنقابات والتنظيمات الاقتصادية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث يظهر المجتمع الأمريكي مجتمعًا منظمًا يقوم على العمل المؤسسي والتعاون بين مختلف الفئات المهنية. فالنقابات الزراعية والتجارية والصناعية تُعدّ عنصرًا أساسيًا في ضبط الإنتاج وتوجيهه، بما يضمن استقرار الأسعار وحماية مصالح المنتجين والمستهلكين، وهو ما يعكس عقلية تنظيمية تقوم على التخطيط والدقة والفاعلية في إدارة الموار، .حيث يقول: **"ومن شأنها إبداء النصائح للمزارعين بما يزيد في غلاتهم ويحفظها من عبث الرطوبة وغيرها من الحشرات الفتاكة وما في معنى ذلك، حتى إذا تسلّمتها النقابة من الزراع عملت كل مجهودها في الوقوف على السعر الحالي في جميع بلاد**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 91.

**العالم بالتلغراف"**[1]. ويعكس هذا الاقتباس صورة مجتمع يعتمد على المعرفة الاقتصادية والتقنية في إدارة الإنتاج الزراعي.

ومن الجانب الاجتماعي، تظهر صورة الأمريكي في اهتمامه الكبير بحماية الفلاح والعامل من التقلبات الاقتصادية، من خلال إنشاء بنوك زراعية، وتحديد أسعار الفائدة، وتنظيم عملية تسويق المحاصيل، بما يعكس نزعة اجتماعية تهدف إلى تحقيق التوازن بين الإنتاج والعدالة الاقتصادية. ويتضح ذلك في قوله: **"ووزارة الزراعة قد قامت بإيجاد بنوك كثيرة في جميع المناطق الزراعية لتسليف الفلاحين ما يلزمهم بما لا يزيد عن 5 في المائة"**.[2]

وبذلك، يرسم النص صورة للآخر الأمريكي بوصفه مجتمعًا مثقّفا متحضّرا وواعيا ومنظمًا، يقوم على النقابات، والتخطيط، والمرونة في التعامل مع الأزمات، مع حضور قوي للدولة والمؤسسات في توجيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

لم يكتف لبيب بوصف المجتمع الأمريكي بصفة عامة أو الرجل الأمريكي بصفة خاصة، بل طالت نظرته المرأة الأمريكية أيضا حيث يؤكّد من خلال رحلته على تجلي البعد الحضاري في احترام النظام العام وآداب السلوك الاجتماعي، خاصة في تعامل المجتمع مع المرأة وحمايتها قانونيًا **"فإن النساء يسرن بحالة عامة محترمات لأنفسهن... وإذا تعدى أي إنسان على واحدة بكلمة أو بنظرة كان البوليس ثالثهما**[3]**"**، وهو ما يعكس حضور القانون في تنظيم المجال العام.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 100.
[2]- المصدر نفسه، ص 100.
[3]- المصدر نفسه، ص 36

لم تقتصر قيم الاحترام، وحسن المعاملة التي تحدّث عنها الرحّالة في المجتمع الأمريكي على المعاملات في الأزقة، بل لمسها أيضا في حسن الخدمة الإدارية في مؤسسة القنصلية داخل نيويورك. فقد قدّم صورة إيجابية عن البيئة الاجتماعية والإدارية التي يعمل فيها القنصل، حيث بدت قائمة على حسن التنظيم واللطف في التعامل والجدية في أداء المهام، وهو ما يعكس أثر المجتمع الأمريكي في ترسيخ ثقافة العمل والانضباط. كما يظهر تقدير الرحّالة للأشخاص الذين يتحلون بالأدب والكفاءة، مما يضفي على صورة الآخر طابعًا حضاريًا إيجابيًا. ويتضح ذلك من خلال وصفه للقنصل والعاملين معه بقوله: **"إني زرت قنصليتها فوجدت قنصلها عسل بك من أرقى من يُعهد إليهم بمثل منصبه، وجدت فيه رجلًا عاملًا أديبًا لطيفًا، والعمال الذين معه بصفة عامة ممن تهنأ بهم وزارة خارجيتنا"**[1]. ويكشف هذا الاقتباس عن صورة اجتماعية وثقافية تُبرز أهمية الأخلاق المهنية، وحسن التواصل، والكفاءة في تمثيل الدولة داخل المجتمع الأمريكي.

فالأمريكيون شعب منفتح على الآخر، يقوم على التعاون وتبادل المصالح والخبرات بين الشعوب المختلفة.وقد رصد الرحّالة وجود بيئة اجتماعية تسمح بتلاقي الجنسيات والثقافات داخل مدينة نيويورك، وهو ما يظهر من خلال اهتمام أحد كبار السوريين المقيمين هناك بالسعي إلى التعريف بالصناعات المصرية والعمل على ترويجها، الأمر الذي يعكس روح المبادرة والانفتاح الثقافي والاجتماعي داخل المجتمع الأمريكي. ويتضح ذلك في قول الرحّالة: **"كان عنده رجل من كبار السوريين في نيويورك، فلما قابلناه بعد خروجه من**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 51

**عنده أخذ يحدثنا بما كان يتكلم معه فيه هذا الرجل، وهو أن يساعده في إيجاد معرض من الصناعات المصرية في نيويورك"**.[1]

كما يُلاحظ اهتمام لبيب بالنزعة العملية التي تميز المجتمع، حيث لا تقتصر العلاقات والمؤسسات على الأدوار الشكلية، بل تتجاوزها إلى الإسهام الفعلي في تطوير الاقتصاد والصناعة وتعزيز التبادل الحضاري. فقد بدا المحيط الأمريكي محفّزًا على التفكير الإصلاحي وربط التمثيل الخارجي بالمصلحة الوطنية والتنمية الاقتصادية، وهو ما دفع الرحّالة إلى الإشادة بالدور العملي الذي ينبغي أن تضطلع به القنصليات في خدمة أوطانها، بقوله: **"بل يجب أن يكون مركزه مركزًا عمليًا بالمعنى الصحيح، يبحث فيه عن كل ما يرقى به بلده في تجارتها وصناعتها، بل في كل شأن من شئونها الحيوية"**.[2]

غير أنّ هذه النظرة الانبهارية لم تكن مطلقة لدى البتنوني، بل وجدناه قد تطرّق إلى رصد بعض المفارقات الاجتماعية التي تكشف حدود هذا التقدّم، خاصة ما يتعلّق باستمرار التمييز العنصري بين البيض والسود، وهو ما أضفى على رؤيته قدرًا من التوازن والموضوعية. وبذلك، تتشكّل صورة الآخر الأمريكي عند البتنوني في بعدٍ مركّب يجمع بين الإشادة بالمنجز الحضاري والعلمي من جهة، والتنبيه إلى بعض الاختلالات الاجتماعية التي تناقض قيم الحرية والمساواة من جهة أخرى.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 51
[2]- المصدر نفسه، ص 51

### 4. موقف الرحالة محمد البتنوني من الآخر الأمريكي

تأرجح موقف لبيب البتنوني تجاه الآخر الأمريكي بين الإعجاب أحيانا وبين النقد أحيانا أخرى، ولفهم صورة الآخر الأمريكي في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا، لا بدّ من وضع هذه الرحلة ضمن سياقها الأدبي والثقافي، بوصفها رحلة وصفية استطلاعية قدّمت رؤية كاتب عربي للولايات المتحدة في مطلع القرن العشرين، وهي مرحلة ارتبطت بتنامي صورة أمريكا باعتبارها نموذجًا للتقدّم والازدهار. وفي هذا الإطار، رسم البتنوني صورة مركّبة للآخر الأمريكي، بدأت بالإعجاب بمظاهر النهضة الحديثة قبل أن تتّجه إلى إبراز بعض المظاهر النقدية المرتبطة بالحياة الأمريكية.

فقد بدت الولايات المتحدة في نظر البتنوني نموذجًا جذّابًا للحياة الحديثة، قائمًا على الحرية وتكافؤ الفرص، بما ينسجم مع مفهوم "الحلم الأمريكي" الذي استقطب أنظار كثيرين. وقد أفاض الرحّالة في وصف مدينة نيويورك، بوصفها رمزًا للتقدّم الأمريكي، فأعجب بحسن تنظيمها العمراني، واتساع حركتها الاقتصادية، خاصة في حيّ "وول ستريت" الذي يمثّل قلب النشاط المالي، فضلًا عن الميناء الذي لا تهدأ فيه الحركة التجارية. كما أبدى انبهاره بالعمران الحديث وناطحات السحاب التي رآها شاهدًا على إرادة الإنسان وطموحه، في مشهد يعكس صعود الولايات المتحدة إلى مصاف القوى الكبرى بفضل العمل والمعرفة والتقدّم الصناعي.

وفي المجال العلمي والتعليمي، أظهر البتنوني إعجابًا بالمكانة التي يحتلّها العلم داخل المجتمع الأمريكي، وبروح الاجتهاد والاعتماد على النفس التي يتحلّى بها الطلبة. فقد رصد مظاهر الكفاح الفردي لدى الطلاب الذين يعملون لتأمين نفقات دراستهم، فقال: **"ومن من الطلبة لا يمكنه دفع المصاريف يشتغل**

**في أوقات الفراغ بنفس الجامعة في أية خدمة، فمنهم الفراشون، ومنهم السفرجية"**[1]، ثم أضاف موضحًا تعدّد مجالات العمل، **"ومنهم من يكسب ما يدفعه للجامعة من عمل في الخارج بعد مواعيد الدراسة، كأن يشتغل في محل تجاري، أو في مطعم أو غيره"**[2]. كما لم يقتصر هذا الجهد على الذكور فقط، بل شمل الطالبات أيضًا، إذ يقول: **"وهذا شأن الطالبات أيضًا؛ يشتغلن في المحلات التجارية أو غيرها بما يُحصّلن من أجرة تعليمهن"**[3]. وقد عبّر البتنوني عن تقديره لهذا الإصرار، واعتبره سلوكًا جديرًا بالإشادة، بقوله: **"وهي همة نذكرها بالشكر لهؤلاء الأفراد"**[4]، ولإضفاء مزيد من الواقعية على وصفه، استند إلى تجربة مباشرة شاهدها بنفسه، إذ يذكر، **"وقد رأيت طالبًا في الطب يشتغل بصفة فراش في قنصلية مصر بنيويورك"**[5]، بما يعكس إعجابه بروح الكفاح وربط التعليم بالعمل والاجتهاد.

غير أنّ هذه الصورة الإيجابية لم تكن خالصة من النقد، إذ سجّل البتنوني جملة من الملاحظات التي عكست موقفًا متحفّظًا تجاه بعض مظاهر الحياة الأمريكية. فقد رأى أنّ المجتمع الأمريكي شديد الانشغال بالماديات والعمل على حساب الثقافة والقراءة، فقال: **"ومن هذا تعلم أن ليس للقوم من زمن يقرؤون فيه شيئًا مما يذكر في الكتب"**[6]، وهو اقتباس يكشف تحفّظه تجاه النزعة العملية المفرطة التي قد تُضعف الصلة بالمعرفة والثقافة.

كما رصد البتنوني الآثار النفسية للحياة المدنية الحديثة، خاصة في مدينة نيويورك، التي بدت له فضاءً مرهقًا للأعصاب ومؤثرًا في التوازن النفسي

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 42.
[2]- المصدر نفسه، ص37
[3]- المصدر نفسه، ص 38
[4]- المصدر نفسه، ص 38.
[5]- المصدر نفسه، ص 37
[6]- المصدر نفسه، ص 34

للإنسان، إذ يقول: **"وفي هذه المدينة تتهيج أعصاب الإنسان بكل ما يضعفها، حتى إن أعصاب الدماغ تضعف إلى درجة فقدان الذاكرة..."**[1]، وهو وصف يحمل رؤية نقدية للحضارة الحديثة التي، رغم ما بلغته من تنظيم وتقدّم، قد تسلب الإنسان راحته النفسية.

ويتجلّى هذا النقد بصورة أوضح في وصفه لإيقاع المدينة السريع والمزدحم، إذ نعتها بـ**"الحركة الجهنمية"**، وهي عبارة ذات حمولة سلبية تعبّر عن شعوره بثقل الإيقاع الحضري وسرعته المفرطة. كما يكشف قوله : **"فنيويورك عالم وحده قد يضل الإنسان فيه عن كل شيء، وقد يبحث فيه عن نفسه فلا يجده**[2]**"** عن إحساس ضمني بالاغتراب وفقدان الذات داخل المدينة الحديثة، حيث يتحوّل الإنسان إلى فرد تائه وسط زخم الحياة اليومية.

ومن جهة اجتماعية، سجّل الرحّالة ملاحظات أثارت دهشته، من بينها كثرة حضور النساء في الفضاء العام مقارنة بالرجال، وهو ما دفعه إلى التساؤل عن طبيعة المجتمع الأمريكي، في دلالة على حضور مرجعيته الثقافية الخاصة في تفسير بعض الظواهر الاجتماعية.

كما امتدّ نقده إلى الجانب العلمي والتعليمي، رغم إعجابه بأهمية العلم، إذ أشار إلى وجود تفاوت اجتماعي يحول دون استفادة الفقراء من التعليم بسهولة، فقال: **"والجامعات والمدارس في نيويورك لا تتسع لتعليم الفقراء الذين لا قدرة لهم على مصاريفها"**[3]، وهو ما يكشف أنّ التقدّم العلمي، في نظره، لم يكن متاحًا للجميع على قدم المساواة.

ولم يقف نقده عند هذا الحدّ، بل وجّه ملاحظة ضمنية إلى الأثرياء الذين رأى أنّهم لا يقدّمون الدعم الكافي للطلبة الفقراء، إذ يقول: **"وكان يجب على**

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 35.
[2]- المصدر نفسه، ص 35
[3]- المصدر نفسه، ص 37.

**الأغنياء هنا أن يعنوا بمثل هذا الأمر"**[1]. ثم يفسّر موقف المجتمع الأمريكي من الفقر بقوله: **"لولا أن في دمهم الهرب من كلمة فقر، ومن كل ما يتصل بها كفقير أو بائس أو مسكين"**[2]، قبل أن يعمّق الصورة بتشبيه لافت: **"وهي كلمات عندهم لا يقابلها غير كوليرا، أو طاعون، أو سل، مما تجب محاربته والهرب من وجهه"**[3]، وهو اقتباس يعكس رؤية نقدية حادّة لطبيعة التعامل مع الفقر داخل المجتمع الأمريكي.

وعليه، تتجلّى صورة الآخر الأمريكي عند محمد لبيب البتنوني في صورة متوازنة ومركّبة؛ إذ بدأ الرحّالة بإبراز مظاهر الإعجاب بالتقدّم العمراني والعلمي وروح العمل والاجتهاد، قبل أن يكشف، في المقابل، عن بعض الجوانب السلبية المرتبطة بالمادية المفرطة، وضغط الحياة المدنية، والشعور بالاغتراب، والتفاوت الاجتماعي، مما أضفى على رؤيته طابعًا نقديًا متوازنًا بعيدًا عن الانبهار المطلق أو الرفض التام.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 38
[2]- المصدر نفسه، ص 38.
[3]- المصدر نفسه، ص38

**المقارنة**

بعد التمعّن في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا، يتّضح أنّ الرحّالة قد خصّص جزءًا مهمًّا من كتابه للتعريف بالمجتمع الأمريكي منذ بدايات اكتشافه، مسجّلًا مشاهداته وانطباعاته حول ما بلغته الولايات المتحدة من تقدّم علمي وعمراني وتنظيم اجتماعي. فقد قدّم صورة لأمريكا بوصفها فضاءً حضاريًا متطوّرًا تتكامل فيه مظاهر الحداثة العمرانية مع المؤسّسات العلمية والتقنية، في رؤية يغلب عليها الإعجاب، دون أن تخلو من الملاحظة النقدية. وقد أبدى البتنوني انبهاره بما شاهده من انتظام الحياة اليومية، واتساع مظاهر التقدّم التقني، وحسن التنظيم الذي يطبع مختلف مرافق المدينة، وهو ما جعله ينقل للقارئ العربي صورة مغايرة لعالم حديث يقوم على العمل والانضباط والتطوّر المستمر.

كما تؤدّي الرحلة وظيفة تنويرية وتثقيفية؛ إذ أتاحت لنا فرصة الاطلاع على مجتمع مختلف بعين رحّالة عربي، بما يوسّع الأفق الثقافي ويُسهم في بناء معرفة أعمق بالآخر. ولم يكن هدف البتنوني مجرّد الوصف السطحي، بل سعى إلى تقديم صورة تحليلية للمجتمع الأمريكي، تُمكّن القارئ من فهم أنماط العيش والسلوك والتفكير في بيئة حضارية مغايرة.

ومن جهة أخرى، حملت الرحلة بعدًا نقديًا غير مباشر للمجتمع الأصلي للرحّالة، حيث أتاح له الاحتكاك بالآخر الأمريكي إجراء مقارنات ضمنية بين العادات الاجتماعية وأنماط التنظيم والسلوك، بما يكشف بعض مواطن الضعف أو التحديات في المجتمع العربي آنذاك. كما سعت الرحلة إلى تعميق الفهم الثقافي للآخر، إذ لم يقدّم البتنوني الأمريكي بوصفه نموذجًا نقيضًا أو غريبًا فحسب، بل باعتباره تجربة إنسانية يمكن التأمّل فيها واستخلاص الدروس منها،

وهو ما يجعل صورة الآخر عنده قائمة على الفهم والتحليل أكثر من الأحكام الجاهزة.

وقد تجلّت هذه الرؤية المتوازنة في تصويره لسلوك الأمريكيين؛ إذ أبرز بعض الجوانب الإيجابية، مثل الانضباط، واحترام النظام، والاعتماد على العمل، والتقدّم التكنولوجي، غير أنّه في المقابل لم يتردّد في تسجيل بعض السلبيات التي لمسها، كالنزعة الفردية، والانشغال المفرط بالحياة العملية، وما قد يرافق ذلك أحيانًا من عزلة اجتماعية أو ضعف في الروابط الإنسانية.

ولم تقتصر ملاحظات البتنوني النقدية على الجانب الاجتماعي، بل امتدّت إلى البيئة الحضرية والصحية في مدينة نيويورك، حيث رأى أنّ مظاهر الحداثة والعمران الكثيف لم تمنع وجود ظروف معيشية مرهقة ومؤذية للإنسان، فقد عبّر عن موقف نقدي واضح تجاه مناخ المدينة بقوله: **"وجوّ نيويورك غير صحي بالمرة"**[1]، وهي عبارة تكشف انطباعًا سلبيًا مباشرًا تجاه البيئة الطبيعية للمدينة.

ويفصّل الرحّالة أسباب هذا الحكم من خلال وصفه للطقس القاسي صيفًا، وما يصاحبه من حرارة ورطوبة تؤثر في الحالة النفسية والجسدية، إذ يقول : **"لأنه شديد الحرارة صيفًا مع ما يصحبها من الرطوبة التي تهيج الأعصاب وتكاد تزهق منها النفوس! "**[2]، وهو وصف يعكس رؤية ترى في المدينة الحديثة فضاءً قد يتحوّل إلى مصدر للإرهاق النفسي والجسدي، رغم ما تحقّقه من رفاه مادي وتنظيم عمراني.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 42
[2]- المصدر نفسه، ص42

كما يواصل نقده عند حديثه عن فصل الشتاء، فيقول: **"وفي الشتاء ترى جوها شديد البرودة بما تكاد تُجمّد منه الدماء في عروقها"**[1]، وهو تصوير يقوم على المبالغة البلاغية للتعبير عن شدّة الإحساس بقسوة المناخ، خاصّة حين يعقد مقارنة ضمنية مع مدينة مدريد بقوله: **"وهي ومدريد على خط عرض واحد"**[2]، في إشارة إلى دهشته من اختلاف المناخ رغم التشابه الجغرافي.

ويتّخذ نقده بعدًا أكثر وضوحًا حين ينتقل إلى الحديث عن التلوّث البيئي الناتج عن مظاهر التقدّم الصناعي، إذ يقول: **"أما هواؤها فكله متسمم بما يختلط به من البنزين المحترق"**[3]، ثم يربط ذلك بكثافة وسائل النقل الحديثة : **"من مئات الألوف من الأوتوموبيلات التي لا تنقطع حركتها فيها ليلًا ولا نهارًا".**[4] ويكشف هذا الوصف عن مفارقة حضارية لافتة؛ فالتقدّم التقني والتنظيم الحضري اللذان أثارا إعجاب الرحّالة، يظهران هنا أيضًا بوصفهما عاملين في الإضرار بالبيئة والصحة العامة.

وعليه، تتجلّى صورة الآخر الأمريكي عند محمد لبيب البتنوني بوصفها صورة متوازنة ومركّبة؛ إذ تجمع بين الانبهار بما بلغته الولايات المتحدة من تقدّم علمي وعمراني وتنظيم اجتماعي، وبين تسجيل ملاحظات نقدية تتعلّق بالجانب النفسي والاجتماعي والبيئي للحياة الحديثة. لذلك لم تكن رؤيته قائمة على الإعجاب المطلق أو الرفض المسبق، بل سعت إلى فهم الآخر وتحليل تجربته الحضارية واستخلاص الدروس منها في إطار من المقارنة الثقافية الواعية.

[1]- محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، ص 42
[2]- المصدر نفسه، ص 42
[3]- المصدر نفسه، ص42
[4]- المصدر نفسه، ص 42.

من خلال قراءتنا لكتاب "الرّحلة إلى أمريكا" لمحمد لبيب البتنوني، بدا لنا جليا أنّ الكاتب تمنّى لو أنّ بلده الأم "مصر" تستطيع أن تصل أوج الازدهار والرقي الحضاري والتطوّر العمراني الذي تحظى به أمريكا.

# الخـــــاتمة

## خاتمة

من خلال الدراسة التي أجريناها توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

تبيّن أنّ الصورائية تُعدّ من أبرز المناهج النقدية في الأدب المقارن؛ لكونها تُعنى بدراسة صورة الآخر داخل النصوص الأدبية، والكشف عن الخلفيات الثقافية والتاريخية والإيديولوجية التي تسهم في تشكيل هذه الصورة، بما يساعد على فهم العلاقات بين الشعوب والثقافات.

كشفت الدراسة عن وجود علاقة وثيقة بين الصورائية وأدب الرحلة، باعتبار هذا الأخير فضاءً قائمًا على المشاهدة المباشرة والاحتكاك الواقعي بالآخر، ممّا يجعله مجالًا خصبًا لبناء الصور الثقافية وتحليلها.

أثبت البحث أنّ أدب الرحلة العربي أسهم في نقل المعرفة وتوسيع الأفق الثقافي، إذ لم يقتصر على وصف الأمكنة، بل جمع بين السرد والوصف والتأمل والنقد، مقدّمًا صورة عن أنماط الحياة الاجتماعية والحضارية للشعوب المختلفة.

أظهرت رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا صورةً مركّبة ومتوازنة للآخر الأمريكي، جمعت بين الإعجاب بمظاهر النهضة الحديثة والتقدّم الحضاري، وبين تسجيل ملاحظات نقدية تكشف بعض التناقضات الاجتماعية والإنسانية.

برزت صورة الآخر الأمريكي في الجانب الحضاري والعلمي بصورة يغلب عليها الإعجاب، من خلال وصف العمران الحديث، وناطحات السحاب، وتطوّر وسائل النقل والاتصال، إلى جانب المكانة المحورية للعلم، وتقدّم الجامعات، وربط التعليم بالحياة العملية والاجتهاد الفردي.

•وفي الجانب الاجتماعي والثقافي، رسم البتنوني صورة لمجتمع يتّسم بالنظام والانضباط واحترام العمل، والاهتمام بالتربية والمؤسسات الثقافية، غير أنّ هذه الصورة لم تخلُ من النقد، خاصة فيما يتعلّق باستمرار التمييز العنصري والتفاوت الاجتماعي بين البيض والسود.

•كما سجّل الرحّالة بعض الآثار السلبية للحياة المدنية الحديثة، مثل الازدحام، وضغط الإيقاع الحضري، والتلوث البيئي، والانشغال المفرط بالماديات، ممّا جعل رؤيته تتّسم بالتوازن بعيدًا عن الانبهار المطلق أو الرفض التام.

•وكشفت الرحلة عن حضور المقارنة الضمنية بين الأنا والآخر، إذ بدا أنّ البتنوني لم يهدف إلى وصف المجتمع الأمريكي فحسب، بل سعى بصورة غير مباشرة إلى الدعوة للاستفادة من عناصر التقدّم والتنظيم والعلم، مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية والقيم الاجتماعية.

•وفي المحصّلة النهائية، تؤكد الدراسة أنّ رحلة البتنوني تمثّل نموذجًا مهمًّا في أدب الرحلة العربي الحديث؛ لما تحمله من قيمة معرفية وثقافية في فهم صورة الآخر، وتعزيز الوعي الحضاري القائم على الحوار، والمقارنة، والانفتاح النقدي على تجارب الأمم.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

**1.** ابن منظور، لسان العرب، ج5، تح: محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان، 1999.

**2.** أبو بكر أسماء، ابن بطوطة: الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992.

**3.** أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، ط1، بيروت، 1961.

**4.** أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ج2، مادة (ر ح ل)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، 1979.

**5.** أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد،رسالة ابن فضلان، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق، سوريا، 1960.

**6.** أحمد فردوس، أهمية أدب الرحلات من النّاحية الأدبية، الكتاب 2، مجلة اللغة، العدد2، مارس 2016.

**7.** إدوارد سعيد، الاستشراق "المفاهيم الغربية للشرق"، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006.

**8.** أسماء يوسف ديان صالح، الصورولوجيا في الرواية "دراسة مقارنةبين روايات عربية وأمريكية مختارة، جامعة ذي قار، العراق، 2014.

**9.** أغامير محمد، صورة الجزائر في مخيال الآخر "لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر"، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2013- 2014.

**10.** إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، جويلية 1975.

**11.** إيميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللغة، أدب، نقد، فكر أدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987.

**12.** تحلية الديانة، تصوير العالم الأمريكي في رواية "الرحلة إلى أمريكا" لمحمد لبيب البتنوني على نظرية أدب السفر كارل طومسون، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، النيجر، 2024.

**13.** جميلة روباش، أدب ارحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014- 2015.

**14.** حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة الكتب الثقافية الشهرية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنونوالآداب، الكويت، 1989.

**15.** حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الاسكندرية، مصر، 1983.

**16.** حلمي خضر ساري، المرأة كآخر "دراسة في هيمنة التنميط الجنساني على مكانة المرأة في المجتمع الأردني ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنضورا إليه"، مركز الدراسات الوحدة العربي، ط2 بيروت، سبتمبر 2008.

**17.** زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائع العربي للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981.

**18.** زهرة مزوني، دراسة الصورة في الأدب المقارن، مجلة الباحث، العدد16، دون تاريخ.

**19.** سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة: صورة في أدب الرّحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النّجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، النغرب، 1995.

**20.** سعيدة بشار، مطبوعة الجزائر في الآداب العالمية، تخصص الأدب المقارن، السنة الأولى ماستر، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة 1، دون تاريخ.

**21.** سليم حفاصي، الصورة في الأدب المقارن، مجلة الباحث، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، دون تاريخ.

**22.** سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب العربي الجزائري: دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009.

**23.** سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، العدد: 1338، الكويت، جانفي 1987.

**24.** سيد حامد النساخ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب للنشر والتوزيع والطباعة، لبنان، د ت.

**25.** شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي: التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، دار رؤية للنّشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006.

**26.** شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر، 1956.

**27.** صالح عبد المطلب، مباحث في الأدب المقارن، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، العراق، 1987.

**28.** عابد لزرق، وفاء سالم، ترجمة المصطلح النقدي في الأدب العربي المقارن: الصورائية نموذجا، مجلة موازين، المجلد 5، العدد2، الجزائر، 2023.

**29.** عبد الرحمن مودن، أدبية الرحلة، دار الثقافة، ط1، 1996.

**30.** عبد القادر شريف بموسى، الشرق بمنظار الغرب: كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجا، مجلة الفكر الثقافية، العدد12، أكتوبر 2015.

**31.** عبد النبي اصطيف، دراسات الصورة بين الدرس المقارن للأداب والعلوم الإنسانية، جريدة الأسبوع الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 1052، دمشق، يوم: 2007/04/21.

**32.** عبد النبي ذاكر، أفق الصورولوجيا نحو تجديد المنهج، مجلة علامات في النقد، العدد 51، 2004.

**33.** عواطف محمد يوسف نواب، الرّحلات المغربية والأندلسية: مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

**34.** عيسى بختي، أدب الرحلة الجزائري الحديث: سياق النص وخطاب الأنساق،أطروحة دكتوراه، تخصص: علوم الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015- 2016.

**35.** فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار اعربية للكتاب، ط2، ص 24.

**36.** كراتشوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم.

**37.** ماجدة حمود، صورة الأخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010.

**38.** ماجدة حمود، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.

**39.**مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان للنشر وتوزيع، ط2، لبنان، 1984.

**40.**محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، مصر، 2013.

**41.**محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية "صورة المغرب في الرواية الإسبانية"، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 1994.

**42.**محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، معجم بيبلوغرافي، دار الكتب والوثائق القومية للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

**43.**محمد رضي الرحمان القاسمي، الرحلة وأدبها في اللغة العربية: دراسة تاريخية، مجلة الداعي، أبريل – يونيو، العدد6-7، 2013م

**44.**محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، ط5، بيروت، لبنان، 1987.

**45.**محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2021.

**46.**ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، مكتبة الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1995.

**47.**ناصر محمد الزمل، افتتاحية مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والاستشراق في الجزيرة العربية، مجلة الفكر الثقافية، العدد12، أكتوبر 2015.

**48.**نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1996.

**49.** نوافل يوسف الحمداني، الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر، مجلة ديالي للبحوث الإنسانية، العدد 25، جامعة ديالي، العراق، 2012.

**50.** نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008.

**51.** نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري.

**52.** يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرّحلة الجزائري: نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجستير في اللغة والدب العربي، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2012- 2013.

**53.** يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، الشركة الوطنية للتسويق والتوريدات، القاهرة، مصر، 2009

# فهـــــرس المحتويـــات

## فهرس المحتويات


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| الشكر | |
| الإهداء | |
| مقدمة | أ |
| مدخل: الصورائية في الأدب المقارن | |
| 1- مفهوم الصورائية (Imagologie) | 05 |
| 2- نشأة المصطلح وتطوره في الدراسات المقارنة | 08 |
| 3- موقع الصورائية ضمن حقول الأدب المقارن | 11 |
| 4- آليات بناء صورة الآخر في النص الأدبي | 15 |
| الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي لأدب الرحلة | |
| 1- مفهوم أدب الرحلة | 18 |
| 2- نشأة أدب الرحلة وتطوره | 28 |
| 3- خصائص أدب الرحلة | 34 |
| الفصل الثاني: صورة الآخر في رحلة البتنوني إلى أمريكا | |
| 1- بطاقة فنية لكتاب رحلة محمد البتنوني | 41 |
| 2- صورة الأخر في الجانب الحضاري والعلمي | 43 |
| 3- صورة الأخر في الجانب الاجتماعي والثقافي | 52 |
| 4- موقف الرحالة محمد البتنوني من الآخر الأمريكي | 60 |
| الخاتمة | 69 |
| قائمة المصادر والمراجع | 72 |
| الفهرس | 79 |

**ملخص الدراسة**

خلصت الدراسة إلى أنّ الصورائية تُعدّ منهجًا نقديًا مهمًا في دراسة صورة الآخر داخل النصوص الأدبية، وأنّ أدب الرحلة يشكّل مجالًا خصبًا لبناء هذه الصورة وتحليلها. كما كشفت رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا عن صورة متوازنة للآخر الأمريكي، جمعت بين الإعجاب بالتقدّم الحضاري والعلمي والنظام الاجتماعي، وبين تسجيل بعض الملاحظات النقدية المتعلّقة بالتفاوت الاجتماعي وسلبيات الحياة الحديثة. وهو ما يدور حوله موضوع بحثنا المنون بـ: "صورة الآخر في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا"، القائم على الإشكالية الأساسية التي مفادها إبراز صورة الآخر الأمريكي في رحلة محمد لبيب البتنوني إلى أمريكا.

وقد حاولنا معالجة هذا الموضوع من خلال التّطرق إلى الصورائية في الأدب المقارن، بالإضافة إلى الإطار المفاهيمي لأدب الرحلة مع إبراز تجلي صورة الآخر في رحلة البتنوني إلى أمريكا، متبعين في ذلك مقاربة تعددت آلياتها بين الوصف والتحليل والمقارنة تماشيا مع ما تمليه طبيعة الموضوع.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها:

•تُبرز الدراسة أنّ أدب الرحلة العربي وسيلة لنقل المعرفة وفهم الشعوب، وقد قدّمت رحلة البتنوني إلى أمريكا صورة متوازنة تجمع بين الإعجاب بالتقدّم ونقد بعض الجوانب الاجتماعية.

•كما تكشف عن حضور المقارنة بين الأنا والآخر بهدف الاستفادة من التطوّر مع الحفاظ على الهوية، مما يجعلها نموذجًا في الانفتاح النقدي.

**الكلمات المفتاحية:** الصورائية، أدب الرحلة، صورة الآخر، الآخر الأمريكي، محمد لبيب البتنوني، الرحلة إلى أمريكا.

**Study Summary**

The study concludes that imagology is an important critical approach for examining the representation of the "Other" in literary texts, and that travel literature constitutes a rich field for constructing and analyzing such images. It also reveals that Muhammad Labib al-Batanuni's journey to America presents a balanced portrayal of the American Other, combining admiration for scientific, civilizational, and social progress with critical remarks on social inequality and certain negative aspects of modern urban life. This is the central focus of the research titled *"The Image of the Other in Muhammad Labib al-Batanuni's Journey to America"*, which addresses the main research question of how the American Other is represented in this travel account.

The study approached this topic by discussing imagology within comparative literature, providing a conceptual framework of travel writing, and analyzing the manifestations of the Other in al-Batanuni's journey to America. The methodology adopted combines description, analysis, and comparison, in line with the nature of the subject.

The main findings of the study are:

• The study highlights that Arabic travel literature serves as a means of transmitting knowledge and understanding different cultures, and that al-Batanuni's journey offers a balanced image of America, combining admiration for progress with criticism of certain social aspects.

• It also shows the presence of comparison between the Self and the Other, aimed at benefiting from progress while preserving cultural identity, making the work an example of critical openness and intellectual engagement.

**Keywords:** Imagology, Travel Literature, Image of the Other, the American Other, Muhammad Labib Al-Batnuni, Journey to America.